عثمان بالنائلة

حدّث ولا حرج

(مجموعة قصص قصيرة جدًّا)

رقم إيداع ٢١٩٩ / ٢٠١٥ط١

الترقيم الدولى / ٩- ٠٠١ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

01022661632 - 012242723

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithbook.com

جميـع الحقـوق محفوظـة للنـاشر وأي اقتبـاس أو إعـادة طبـع أو نـشر في أي صـورة كانـت ورقيـة أو إليكترونيـة أو في وسـيلة سـمعية أو بصريـة دون موافقـة كتابيـة مـن النـاشر، يعـرض صاحبـه للمسـاءلة القانونيـة .

الإهداء

إلى أبي محمّد وأمّي فاطمة الحبيبين.
إلى أختي شاذلية الغالية، وصهري العزيز عبد المولى.
إلى ابنة أختي وقرّة عيني ريم.

بأيّ ذنب

تزوّج الموءودة، واغتصبها على سنّة هواه، وبعثر ما في نفسها، وقتلها رجمًا بالحياة.

ملحمة

بعثر دقّات عمره على حصى الطريق، ووطأها بقدمين مذبوحتين، واستنشق طيب الجروح، ونعت حمامة مطوّقة ما استبقت الأشواك من أنّاته، واستفاق حين استفرغ الدرب كلّ وجوه الوجود.

تحرّر

اعتقلوه، وحبسوا النعاس، وأفرج عنهما بعد أيّام، وعادا إلى البيت يتهامسان، شبّ حريق في الدار، استيقظ فزعًا. وقال: «التهمني ودعني أنَمْ».

الغياب

سكب جميع الأسماء الّتي تعلّمها في فوهة الفراغ، وأسلم عينيه للرؤى عساه يتعلّم منطق الصور.

الكرامة

اشتدّ الزمهرير في صبيحة ذلك اليوم، توافدت حشود المتظاهرين على الشارع، باع الصبيّ الأعلام، واحتفظ ببعضها ليحرقها خفية ابتغاء التدفئة.

نصوحة

كان سكّيرًا، فحاشًا، لعّانا، وقذف الله نورًا في صدره؛ فندم، وتاب، وتوجّه إلى المسجد يبغي الصلاة، وأحسّ فجأة برذاذ تلاه خيط ممطر ينهمر، رفع رأسه مستنكرًا، وأبصر الطفل المتبوّل منتشيًا، فقال: «هداك الله يا بن الزانية».

القدير

سئم أداء دور الجثّة في الأعمال السينمائيّة، احتجّ، وثار، وترجّى؛ فأسندت له شخصيّة محتضر في أحد المسلسلات التاريخيّة.

المنجل

يترك سيّارته، ويركب وسائل النقل العموميّة، ويشيد رفاقه في الحزب بتواضعه، ويتغنّى زملاؤه في العمل بتبسّطه، وهو يعشق الاحتكاك بالأنثى منذ نعومة مخلبه.

الخفافيش

أوقفوه، وعلّقوه بتهمة محاولة إيقاف السير العاديّ للعمل، وسامته أصوات الظلام سوء السياط على مهل. وقالت له: «نحن سدّ منيع أمام من ينوي تركيع الوطن». ولمّا ألف دماغه الوضع المقلوب أقعدوه على كرسيّ متحرّك، وأفرجوا عنه على عجل.

في كومة قشّ

يسكن مذ ولد بحيّ باب السدّ، والحيّ منذ البداية مفقود في السجلّات الحكوميّة ومدسوس في البلد، وجدوه في خرائط غوغل؛ فأعدّ فريق تصوير غربيّ شريطًا وثائقيًّا عنه لم يرد أن يشاهده من أهل الإدارة والاستدارة ٤أحد.

الأكداس

طأطأ رأسه في ذلّ وقال: «من فضلك سيّدي.. قليل من الفول المدمّس ولو مع قليل من الكمّون». تأمّل البائع رقع ثياب الصبيّ وقال: « آه.. ولو.. إن لم تختفِ من أمامي حالًا لأذيقنّك لطمًا وركلًا مع كثير من الكمّون». تراجع الطفل مذعورًا، فانتبه إلى قدوم رجل حانق بصحبة عوني أمن يسخران. قبض أحدهما على بائع الفول، وصرخ في وجهه قائلًا: «تبيع فولًا فاسدًا يا عديم المروءة يا غشّاش»؟ اقترب الصبيّ حينئذ منهما متردّدًا، وقال للعون الثاني متلعثمًا: «سيّدي.. أنا.. جوعان». حدجه الشرطيّ ببصره، وكدّسه بجانب كومة القشور، ثمّ تعاون العونان على جرّ عربة الفول

وصاحبها الباكي يتبعهما الشاكي.

الدوام

أشرق صباح يوم متكرّر، استيقظ، غسل وجهه، تناول وجبة الفطور، ارتدى بدلة الكفاح الّتي لا تتبدّل، وهام على وجهه ينشد تغيير الأسطوانة، وفي المساء عاد وفي جعبته جريدة، وبضع دنانير، وحال معطّل عن العمل لم تتغيّر.

العلّة

سدّد فواتير الماء والتطهير والهاتف والغاز والكهرباء، دفع معلوم كراء غرفته، وزار غبًّا حلّاق شعيراته، وختم يوم إجازته المرضيّة بشرب كوب شاي بالنعناع، واتّفق أن أصيب في اليوم الموالي بنزلة برد حادّة وصداع طنّان بلا هوادة؛ فبقي سجين غرفته، وحُرم من لعنة الشافي على المرتشي المعتادة.

إذا جاء

طُردوا من الأرض بموجب وعد، جاسوا خلال الديار بفضل عهد، يتناحرون ليصبحوا ألف بلد وبلد، يتناصرون ليسعد ولد الولد، ويستقبل الفريقان قبلة الصمد.

بطُل العجب

ألقى على غلاف كتاب «الجيران» المدرسيّ الباهت نظرات فاحصة، ونظر إلى ملابسه الجديدة المستعملة الرخيصة المستوردة، ثمّ أبصر فجأة الفأر يجول في قاعة الدرس الباردة بحريّة، غضّ بصره عن حذائه الساخر وعن السخريّة. وأدمن النظر إلى حذاء ابن الطبيب الجالس بجانبه، وتفصل بينهما محفظة جلديّة فرنسيّة وأخرى متعدّدة الإستر صنعت في الصين الشعبيّة، دقّ الجرس، وأيقظه صوت المعلّم المجلجل يذكّرهم كعادته بضرورة الاستعانة إذا راموا الفهم بالدروس الخصوصيّة.

مضرّ بالصحّة

اعتاد جسده التعوّد الصامت على التعب والحرّ والبرد القارس، نظر إلى السماء وإلى الأفق الغائب وإلى تموّج ماء البحر وإلى السفن وإلى عمّال الميناء، أخرج من جيبه المثقل آخر سيجارة بطعم عرق معتّق محنيّة، وأشعلها، ورمى علبة الثقاب الخاوية المثقوبة بعيدًا بكلّ ما ادّخر من قوّة، وتمنّى أن يلهب العرق أنفاسه اللاهثة العمياء، وأن تطلق السيجارة روحه الحبيسة المنسيّة.

مسودّة الحياة

جرفت العتمة سواد حدقتي عينيه ليفيق، وأشرقت في صدره، وهدته إلى قاع الهوّة السحيق، واستباحت خياله، وحّملت أحلامه ما لا تطيق.

المستترون

سكبت الشمس على وجوه مهترئة ترياق الخيوط الضوئيّة؛ فتململت، وامتعضت، وأعرضت؛ فالتحفت، ولبست أقنعة الحريّة.

المشهد الأوّل

جلس مطمئنًّا على كرسيّه المخصوص في مقهى «كلّ الناس»، وأجلس النسخة الّتي اشتراها من جريدة «الصريح» على الكرسيّ المجاور له، تأمّل وجوه الزبائن الّتي اعتاد رؤيتها في مثل ذلك الوقت من اليوم وتأمّلته، فسلّم على جيوب بعضهم ووقار البعض الآخر ومهن آخرين وحاجاته الطارئة للبعض. وصفّق ثلاث مرّات، وطلب فنجان قهوة «مباشر»*، ثمّ أسدل ستار الجريدة.

*فنجان قهوة «مباشر» هو أكثر صنف تُخلط فيه القهوة بالحليب من أصناف القهوة المقدّمة في المقاهي التونسيّة.

غريب

عشق الورقات الأدبيّة، وعشقته الأمنيات الورقيّة، وتساقطت سنوات حياته القاضية المقضيّة؛ فطوّقته أجنحة المنيّة، مثله كمثل شجرة زيتون مجتثّة منفيّة.

المتجاهلان

حاول أن يتعلّم لغة جسده، واكتشف أنّ أبجديّتها تزداد حرفًا كلّما تحرّك، فاستلقى على فراشه، ولمّا تنفّس، فهم أنّ جسده لا يصمت حتّى يُسكت؛ فابتسم وتنهّد.

همزة بهمزة

رآها وأطال الهمزة بالمدّ، ورأته وأقصرت همزة القطع، فرغب حظّه المتعثّر عن الوصل؛ إذ لم تصل القطع بالقطع.

أبواب السماء

كان وجهه يتصبّب عرقًا، وكان ثوبه ملتحمًا بجسده ويتنفّس عرقًا، نظر إلى السماء، ثمّ أغمض عينيه، فصفعته أبواب السماء المشرعة.

الزائرة

بحثت دودة القزّ في البيت عن شجرة، فوجدت طاولة من خشب السنديان، وتسلّقتها حتّى صارت فوقها، ففقأها كفّ ربّ البيت الكفيف، وارتجف.

الخراب

استلقى على فراشه البارد، انتابه سعال مزلزل، وأحسّ أنّ الأمراض تطلّ عليه من كلّ جانب، وراعه تسونامي الأدوية الجارف يجتاح غرفته ويغرق أنفاسه، فترت عيناه إلى السقف تنشدان السلامة بعد أن ابتلعت أمواج الدموع الجارفة الوسادة.

الفقيد

لم يشأ طيلة حياته أن يغرق حذاءه في الغبار أو في الطين، لا يحبّ تلويث يده بمصافحة العمّال والفلّاحين، لا يطاعم الناس، وينتقي المجالس والجلّاس، وينكِر أصوات الباعة وسؤال المتسوِّلين، ولمّا مات نُكست الأعلام، وحضر الجنازة السادة الوزراء، وشيوخنا الفضلاء، وعيون الدول الصديقة، وإخوانه الكثر تحفّهم وجوه الآخرين.

هاتشيكوك

كلب ينتظر كلّ يوم سيّده أمام محطّة القطار في طوكيو. وذات يوم لم يصل كالمعتاد المنتظَر؛ فلم يبرح هاتشيكو موضعه حتّى أخذوه إلى حيث اشتمّ جثّة صاحبه، ومرّ عقد من الزمن، والسيّد في كلّ مساء مخلف موعده، وتشو كان قدّام المحطّة يترقّبه، حتّى وافته المنيّة وقد عضّه المرض؛ فبكاه خرير مياه نهر شيبويا، وصار يضرب به المثل في الوفاء؛ فلا يستاء الياباني إن قلت له: «كن وفيًّا كهاتشيكو».

لبّيك

قال لصاحبه: «لن أنام الليلة قرير العين ما لم أطف بالبيت العتيق»، فخرجا من فورهما، ولمّا بلغا الغاية، خلعا ما انتعلا، وطافا بالكعبة يدعوان، بعد أن حمدا وصلّا، ولمّا راما مغادرة الحرم لم يجدا كلا الخفّين؛ فأبدلهما المشوّق بأحسن منهما، ورضي المرافق بخفّي حنين.

البركان

أصبح اليوم عنده وظيفة، فطلب من الساعي فنجان قهوة، ولمّا استبطأ تلبية حاجته، خرج من مكتبه؛ فاحتواه سيل الموظّفين الهاتفين: «يا مدير يا جبان ارحل ارحل الآن». واقتنصتاه فجأة يدا مراسلة وعدسة قناة الوطنيّة، وباغتته بالسؤال: «فيمَ اعتصامكم؟» جفّ لسانه وتصبّب أنفه عرقًا، وقال: «أنا لم أحتسِ حتّى الآن قهوتي، فاسألوه بربّكم أن يرحل».

لا تسرّ

سألوه عن اسمه؛ فتعثّر لسانه، وأدخل يده في جيبه، فلم تخرج بيضاء.

القادح

مذياعه كعجلة الاقتصاد في بلده لا يحتاج فقط للطاقة، بل يحتاج أيضًا للضرب.

أكسجين

كان يخاف من الأماكن المظلمة والمغلقة؛ فقرّر أن يبيع شقّته ويترك الوطن.

المكافأة

أوهموه أنّه سيحال إلى التقاعد، فاكتشف لاحقًا أنّه أحيل إلى المستشفى.

السحر

صاح الديك، ونام الصمت، وجفّف النور الكليل الأقلام والخيال الأصمّ.

دعه

أكمل بناء بيته، وأثّثه، وسكنه، قبل أن يدفع مهر شهادة ملكيّة الأرض ورخصة البناء.

المسؤول

كان يعشق الكذب ويتقنه، حتّى صار يقتفي أثر ظلّه ويشكّ في شكّه.

المقامر

كان السندباد السياسيّ مولعًا بالركوب على الأحداث وسياحة الأحزاب، وبيع الأسرار، وشراء الذمم، ولم يثنه يومًا الغول والرخّ ووخز الضمير عن زرع الخطر.

غمضة عين

اندفع أربعة أشخاص من باب الشاحنة الجانبيّ، انقضوا عليه، كمّموه، ونقلوه جوًّا إلى داخل الشاحنة؛ حيث أفقدوه الوعي، فتح عينيه فزعًا، هدأ روعه إذ لم يكن ثمّة شاحنة، أراد النطق، فعجز؛ فانتفض جسده رعبًا، وأطلّ عليه وجه المحقّق يقول: «الآن تحقّقت أنّ كلّ شيء على ما يرام».

لا سلكيّة

صوّب مسدّسه نحو مرافقه الّذي ظنّ أنّه يمازحه؛ فأرداه قتيلًا، وترقرقت الدماء من جبينه، رنّ هاتفه الخلويّ، أجاب القاتل مخاطبه قائلًا: «الله محيّي الرجال تمشي وتتايل بسلاحها». انقطعت المكالمة، ثمّ رنّ محموله مرّة أخرى، فبدأ المحادثة ضاحكًا، ثمّ قال: «ما شلوخا أدون أبو غريب».

قنص

كانت تحبّ، وكان يحبّ، فإمّا تكون النجاة، وإمّا يكون الهلاك، والفريسة هي الجسد، والصيّاد هو المرض الفتّاك.

هوس

كان يبحث عن امرأة تحترم مواصفاته الرقميّة، ويستحسن أن تكون شاشة تلفاز قابلة للطيّ، وقياسها مائة وخمسون بوصة بدقّة وضوح خياليّة.

الحلم الإيطاليّ

تعرّف منذ سنة على سيّدة إيطاليّة من خلال موقع تعارف إلكترونيّ، ودعته لزيارتها، فقبل، وسافر، وأضحى الآن قطع غيار بشريّة في أجساد لا يعرفها.

اليد

كان شحّاذًا متعفّفًا وكريمًا؛ فقد كان تشرّده وبؤسه يتسوّلان نيابة عنه، وكان يتصدّق كلّما تسنّى له ذلك على بعض ممّن يعترض سبيله من سكّان الرصيف، منذ أسبوع دهسته سيّارة، ونجت بفضله القطّة.

على عروشها

تسلّم طيلة حياته ثلاث قرارات إزالة للمباني الّتي فيها الشقق الثلاثة الّتي سكنها؛ فعلم أن الخراب الثالث يكتسح ما تبقّى من الذاكرة.

سلمت يداه

أسكن والديه فسيح جنان دور المسنّين. أعان العديد من عشيقاته على إيجاد شغل لائق. وساعد الكثير من زبائن وظيفته الحكوميّة على إكرامه، وقبل مساعدة كلّ الناس على النحو الّذي يرضيهم إن أرضاه، وكان في كلّ مرّة يُشكر فيها يقول: «ما رضاء الله إلّا برضاء الوالدين! أجارنا الله وإيّاكم ممّن لا يخافه!».

موثوقة

لم تكن أنباء النشرات المسائيّة تهمّه، ولم يكن يصدّقها؛ فاستعاض عنها بما تنقله له زوجته من أخبار أهل القرية وما جاورها.

باب الرزق

كان يتمتّع بتقصّي أحوال المارّة وهو جالس أمام دكّانه المقفل صباحًا، وكان يحبّ إجبار زبائنه من أهل القرية على الاصطفاف قبيل موعد الافتتاح اليوميّ، أي بعد أداء صلاة الظهر، وفي أحد الأيّام رأى الناس يتسابقون مهلّلين يتخافتون بينهم، فارتسمت ابتسامة ساذجة على شفتيه، واستوقف صبيًّا يسأله عن العلّة، فأجابه قائلًا: «لقد نجّانا الله من ذلك وكسلك وأبدلنا بمن هو خير منك». وأفلت الطفل من بين يديه المرتعشتين، وغاب بين الزحام.

المجال الحيوي

كان يريد الاحتفاظ بكلّ أمتعته الخاصّة وثيابه، وحتّى أعداد الصحف والمجلّات القديمة المطويّة، وكانت تتخلّص خلسة من مقتنياته الواحدة تلو الأخرى؛ فقد ضاقت بها ذرعًا كما ضاق بها بيت الزوجيّة، وكان كلّما تفطّن لفعلتها يعلن الحرب؛ فتتمنّى حينها رميه هو أيضًا ليتّسع لها المكان وتنعم بالحريّة.

النتيجة

كانا يحملان نفس الاسم وذات اللقب، تصادف أن جلسا في مقعدين متجاورين يوم الأحد، وانتهى تعارفهما بجروح بليغة وارتجاج الدماغ، وكسر في الساق وآخر في اليد، والداعي لذلك كان «دربي» المدارج مشوبًا بحبّ لعبة كرة الفرق.

قطوفها دانية

وقف مشدوهًا يتأمّل التفّاحة، كانت متدليّة خارج سور أحد المنازل، خلبت لبّه، واستولت على نفسه الجامحة الرغبة في الاستيلاء عليها، استدار ذات اليمين وذات الشمال، كان الطريق خاليًا من المارّة، قفز مرارًا وتكرارًا دون جدوى. فانتهى إلى التسليم بضرورة مساعدة من يكبره سنًّا، وأبصر بعد الانتظار قدوم شخص في مقتبل العمر، توسّم فيه الصبيّ الحمق والطيبة؛ فطلب منه المساعدة، ابتسم الرجل وسأله: «هل استأذنت صاحبها»، بدا الارتباك على الصبيّ. لكنّه تمالك نفسه، وأجابه قائلًا: «بلى قد فعلت، ووافق، إلّا أنّ صاحب البيت شيخ عجوز لا يقوى على قطفها». أخذ الشابّ الثمرة اليانعة، وشكر الطفل المتسمّر، وانصرف.

ثروة

ترك له جدّه ضياعًا كثيرة، كانت ستغنيه عن تصيّد الوظائف، لو لم يترك له أيضًا أربعين وريثًا يضافون لإخوته التسعة.

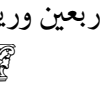

رحلة العمر

تفحّص كلّ شيء باهتمام؛ فاطمأنّ إلى أنّ الحيّ بما فيه لم يتغيّر، حتّى أنّ معارفه لا زال الكثير منهم يرتدون ذات الملابس منذ أكثر من عقدين، أمّا الأطفال الّذين ولدوا بعد رحيله فهم يلعبون في أرض مصنع المستثمر الإيطاليّ الّذي فرّ مخلّفًا وراءه الخراب وبضع مئات من العاطلين، فتحت له الخالة أمينة الباب، كادت رؤيته أن تخرسها، عانقته بحنوّ اختزنته طيلة سنوات عديدة، ثمّ صاحت قائلة: «ولدك عاد من أوروبا يا خديجة». أقبلت أمّه على جناح الشوق الفائض. خفّ إليها، وارتمى في أحضانها باكيًا، وقال: «أفرجوا عنّي البارحة، وتمّ ترحيلي اليوم». فقالت: «قد خطّك الشيب يا آخر العنقود».

الخيبة

رأوه يحدّث نفسه؛ فرموه بالجنون، وذات يوم علموا من وسائل الإعلام بأنّ من عدّوه معتوهًا تحصّل على جائزة نوبل في الرياضيات.

مصلحة الخطوبة

قدم لخطبتها وبحوزته الكعكة وكلّ الأوراق المطلوبة، وهي جواز السفر، وبطاقة مقيم في بلد أجنبيّ محترم، وتصريح بالدخل وشهادات الملكيّة وأحدث كشف حساب، فوعدوه بالردّ المبدئيّ على طلبه بعد التأكّد من صحّة الوثائق في انتظار قيامه بالفحوص الطبيّة اللازمة.

المنتن

كان يعشق طعم الثوم، وكان يكثر من أكله؛ لذلك لم يكن له أصدقاء ولا زوجة، وكان ربّ العمل قد أعفاه من التردّد على المكتب، وعندما عاف الثوم وكره نتن رائحته وقرّر تغيير حياته برمّتها، أخبروه أنّه قد صُنّف نهائيًّا كمواطن شديد النتانة؛ فقرّر الدخول في اعتصام مفتوح، وأيّده عن بعد سلك القضاء ومنظّمات المجتمع المدنيّ والإعلام بشتّى روائحه والأحزاب الديمقراطيّة.

في التأنّي

صدمته سيّارة، وانطلقت بسرعة جنونيّة، تحلّق حوله الناس، وتحوّل إلى قضيّة تُثار بسببها ألف قضيّة وقضيّة. وحاك شهود موهمون وقائع أخرى، وهو مسجّى على الطريق العموميّة، وتكرّر اتّصال بعضهم طيلة ستّين دقيقة برقم الطوارئ لطلب الإسعاف، وقيل لهم في كلّ مرّة إنّه في طريقه إليهم، وسئلوا عن حالته الصحيّة، واضطرّ بعضهم في آخر الأمر إلى تحويل وجهة سيّارة إسعاف عند مرورها في الشارع الرئيسيّ المجاور، ولمّا لم يجدوا له متّسعًا من المكان وضعوه فوق الجثّة الّتي كانوا بصدد نقلها إلى أقرب مستشفى.

بيت من زجاج

أراد كشف النقاب عن المتورّطين في قضايا الفساد؛ فلفّقوا له قضيّة التحرّش في الطريق العامّ.

الأبعاد الأربعة

كان سكّيرًا، وكانت زوجته تقول: «تعسًا لحظّي»، وكان جاره يقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الخبث والخبائث». وكانت أمّه تقول: «ربّنا يهديه، ويبعد عنه رفاق السوء»، وكان صاحب الحانة يقول: «حريف طيّب المعشر وهادئ». فكان يسكب كلّ هذه الكلمات في كأس الفراغ، ويتجرّعها في صمت قاتم.

عبد الطريق

أنهكته آلاف العثرات في الظلمة الحالكة؛ فتمنّى الوقوع في هوّة سحيقة ساحقة.

حبال حديديّة

ركب القطار، وفقد التوازن والتذكرة؛ فلم يسلم من مقراض مراقب التذاكر والعيون الكاسرة.

بدون جمهور

كان يحلم بتقمّص الزيّ العسكريّ، ولمّا عايش حلمه، وعرف أنّه من شوك، أقضّت مضجعه الهزائم المتتالية.

ممنوعة

كان يكره البكاء، ويعدّه عيبًا، ولمّا اكتأب لفقدانه كلّ عزيز، هاله أنّ دموعه أمست مقعدة.

اللغتان

أحبّ دراسة اللغة التركيّة؛ فعشق الأستاذة، وانشغل عن التعلّم، وأفضى به الأمر إلى الرسوب في كلا الامتحانين.

حال

ولد باكيًا، وعاش شاكيًا، ومات شاهقًا، للّٰه ما أعطى، وللّٰه ما أخذ.

أبو قلمون

اغتنم الفرصة، وطلب من البلد المحتلّ لوطنه اللجوء السياسيّ، ولمّا أسعفه الحظّ، وقبلت إحدى بنات المهجر الارتباط به، التمس الحصول على الجنسيّة.

فقدان

اعتُقل يوم ولادة ابنه، انتقلت أمّه لرحمة اللّٰه، وتوفيّت زوجته، واستُشهد ولده البكر، فقُصف بيته، وترفض سلطات الاحتلال إطلاق سراحه وقد بلغ السادسة والستّين من عمره لفداحة جرمه.

السفلى

سهر الليالي، ولم ينل العلى، بل استنزف السهر وتقلّب الطقس وشرب أكواب القهوة والشاي صحّته وقدرته على التمنّي. ولسعته ألسنة أصحاب السيّارات وأحوجته ملاليم مالك المأوى.

أصليّة

أراد الزواج؛ فقرّر السفر إلى بكين؛ حيث اشترى كلّ المستلزمات، وارتبط بمن أنتجت في الصين؛ فوجدها امرأة حسنة التدبير وحييّة ومطيعة ومثابرة، ولمّا رزقا بطفلهما الوحيد سمّاه ناجي.

تفصيل

أرّقته سياقة السيّارات، إذ لم يحسن بعد الدوران عند مفترق الطرقات، وأعجزه قانونها، فهو يحبّ المرور المبتدع. ويبغض الحواجز والخطوط والإشارات.

فديناه

تقدّم بمطلب توظيف في القطاع العموميّ، فدعي للقيام بالخدمة العسكريّة، وتوفيّ بعد شهرين في ساحة الوغى أثناء عمليّات التمشيط التدريبيّة، وسُجّي جثمانه في مقرّ أركان الجيش إلى حين حضور السادة المسؤولين والعدسات الأجنبيّة والمحليّة، ودفن بعد التحيّة والخطابات والموسيقى النحاسيّة والصلاة.

غزو

نزح منذ خمسينات القرن الماضي من قريته إلى العاصمة، وغصّت المدن بجمهور الوافدين إليها؛ فهاجر إلى دولة أوروبيّة شقيقة، والتحقت به الآلاف المؤلّفة من المهاجرين السريّين؛ فآثر الانتقال إلى بلد غربيّ صديق، ويبقى الأمر على ما هو عليه حتّى إشعار آخر.

حلال

انهمك في التفكير، تذكّر فجأة جبل الديون الّذي نخر عميقًا حتّى رسا على جمجمته، وأغرقته العمليّات الحسابيّة في مستنقع الأدوات المدرسيّة والدروس الخصوصيّة ومصاريف العلاج واحتياجات شهر الصيام وحلويّات العيد وكسوته. وأضحى يعمل على وتيرة متزايدة محمومة، واستفاق على صراخ «الشاف» صالح؛ فرأى الدماء تتقاطر بغزارة من ساعده، وتختلط تحت قدميه مع دماء الخرفان الّتي ذبحها دون حتّى أن يذكر اسم الله عليها.

حيًّا أو ميّتًا

كانت كلّ طرق حياته تؤدّي به إلى التهلكة، التقطوه، وزوّدوه بالزمان والمكان والعبوّة الناسفة؛ فمحق وجوده. وجعل حدث موته قاتلًا، وما زالت القائمة تطول.

مقال

سألوه: «ممّن تخاف؟»، فأجاب: «من المرض والفقر والمتجبّر والفواتير والغلاء»، وارتبك قليلًا، ثمّ قال: «وأحيانًا من حنق زوجتي وتعنّتها وإلحاحها الّذي لا ينتهي». فقالوا له: «ويحك ألا تخشى الله؟» فقمع بوادر الابتسامة، وقال: «إنّما كنت أحدّثكم عن آفات الحياة الدنيا».

بإيجاز

تلقّى برقيّة، وفاجأه خبر وفاة أخيه؛ إذ تذكّره لمّا أصبح جزءًا من الذاكرة.

للعرض

رآها، أعجبه حسنها، رغب في امتلاكها، كسب الصفقة، اكتشف لاحقًا أنّ البضاعة غير معدّة للبيع، وتكبّد جميع الغرامات بعد فسخ العقد.

العصمة

قرّر الاستقالة، حرّر الطلب، قدّمه للمسؤول، تلقّى ردًّا بالرفض. وأقبلوا إليه لاحقًا يزفّون له بشرى إقالته من مهامه.

مستعجلة

دهست سيّارتها عشيّة ثلاثة أشخاص. إصابات اثنين منهم خفيفة، بينما توفّي ثالثهما في أولى ساعات اليوم الموالي. لم يقع إيقافها، واستكملت الشرطة الخدومة أبحاثها على عجل، وعاضد جهودها وكيل الجمهوريّة المؤتمن. ثمّ أصدر شاهبندر القضاة حكمًا بعد بضع ساعات بالإفراج عن المتّهمة بالقتل على وجه الخطأ؛ فاستصدرت الجانية الحكم قبل دفن الضحيّة.*

دون ربيعوت**

أراد مبارزة صورة الحاكم المستفزّة، ولمّا أعدم الوسيلة للإطاحة بالصورة اكتفى بتهشيم البلّور الواقي.

---

* حصلت وقائع هذه القصّة في مدينة زغوان التونسيّة.

العبور

قبضوا على جاسوس أمريكيّ، وأفرجوا عنه بعد خمس دقائق بواسطة التحويل البنكيّ؛ فعاد إلى وطنه محمّلًا بالمعلومات وأصدق التحيّات.

صوريّة

سئمت الغيلان أشكال الوجود الخياليّة، فخيّمت في عيون عسكريّة، واستمتعت بألحان الفناء تعزفها الخراطيش والصواريخ والبراميل المتفجّرة والقنابل اليدويّة.

التكاثر

تقاسم العباد البلاد، ولا يزالون يفعلون ذلك حتّى تصبح غابة الأعلام ومجمع دول رؤوس الأقلام.

مجرّد

أقضّ طارق الليل عليه مضجعه، سأله عن هويّته، فلاذ بالصمت، فتح الباب، فتلقّى الطعنات، خرّ ساجدًا يتلوّى. انقبضت عيناه مرارًا و تكرارًا كقلب جزع، وأنصت لعجز بقيّة المنتهكات الصارخ فيما تسمّى داره.

المقهورون

جلس في مقعده بالطائرة، أبصر المضيفة، وقعت عيناه على خاتم الزواج، حملق في تضاريسها الوعرة، وتفحّص سهولها الخصبة، وابتهل إلى القويّ الصمد، وهرع إلى الحمّام ليلقي عصاه كبقيّة السحرة.

مواطنان

أحبّت مسيحيًّا، وأحبّها، ولم يبقَ من القصّة كلها إلّا مجموعة مقالات نشرت في صفحات الحوادث.

طاقيّة الإخفاء

ثار الناس بسبب الفساد المستشري في مؤسّسات الدولة، ورضوا بأن تكون بعضها الخصم والحكم؛ فدعمت المنتخب زمن الحصانة الوظيفيّة أصوات الأغلبيّة، أمّا الإعلام والقضاء والأجهزة المسلّحة والإدارة، فكانوا منازعيه في السلطة الثوريّة، واقتضت الديمقراطيّة تحنيط الموروث الثقيل، وانتهت قبل البداية اللعبة السحريّة.

لزوم ما يلزم

تقابل الظلّ وصاحبه على سرير المرض، وذاقا الأمرّين، وانقضى العمر، فاقترنا في ظلمة القبر.

السور العظيم

كان يكتب اسمه في كلّ مكان يزوره، ولمّا ضاقوا به ذرعًا، أقاموا عليه حدّ السارق جزاءً بما كسب.

المصلحة عامّة

صمت طويلًا، ملّ الخرس الاختياريّ، أذّن في الناس بالوطنيّة؛ فكبّلته أقلام الحبر الجافّ الحرّة، واغتالت صوته أقلام الرصّاص الوسطيّة.

السلّة

كان بلدهم يعجّ بالسيّاح والقمامة، واتفّق أنّ الناس ضجّوا بالشكوى، وتخلّصوا من الفضلات؛ فكسدت السياحة،وانتكس الاقتصاد، واتُّخذ القرار سريعًا باستيراد كميّات كبيرة من المهملات.

معًا

أصيب الزير الحاكم بداء متلازمة نقص المناعة المكتسبة؛ فاستحيى بقيّة نساء الوطن حتّى يرتبط مصيره بمصير الأمّة.

شطرنج

كان يعوزه السند؛ فلجأ إلى السياسة، وعلا نجمه على قدر تدنّي أوضاع الرعيّة، واضطرّته زلزلة النظام إلى طلب اللجوء السياسيّ من دولة محميّة.

القابليّة للعلاج

عثرت، فقدت التوازن، وعامت في الهواء، وهوت، تبعثرت أوراقها على الرصيف المبتلّ، واتّسخت ثيابها، ولم تمسّ نظّاراتها الطبيّة بسوء.

لا داعي لها

كان يحبّ أن ينظر إلى نفسه في المرآة كلّما خطر بباله سؤال، ولمّا رأى فيها شكله على حين غفلة من الأسئلة أذهله ما لا يُحصى من الإجابات المصلّبة في جذوع النخل المحرقة.

المغزى

تلقّى الرسالة، انتابه مزيج من الفرح والقلق والحيرة، لم يجد في الظرف ما يدلّ على المرسل، ولمّا فضّ ختمها وجد ورقة عذراء لم يمسسها قلم ولا وسخ؛ فبقي أسير الأحجية.

غمرة

تخلّص من كلّ نملة اعترضت بصره، قهرت كثرة أعداد النمل قدرته على القتل، وأصابه الغيظ بالشلل.

الخطّاف

لاحقوه، أراد أن يخفي دليل الإدانة، ابتلعه مواصلًا العدو؛ فأوقعه، واستخلص منه الحياة.

فلذة

انتكست حالة الرضيع الصحيّة، ومنع التقرير الطبيّ والديه من إخراجه من المستشفى، وشراه الخاطفون بثمن بخس، وكانوا فيه من الزاهدين.

الخمير

تداخل الناس، والتحموا، وتدافعوا، وتصبّبت أبدانهم عرقًا، ونضجت أقدامهم، وبيع الخبز، وبقي ازدحامهم.

متّفق عليه

بادر بالكلام، فأسكته الصامتون، وألزموه الهمز واللمز، واعتقلته العيون.

طاعمو البأس

جرّوا الذبيحة، وألقوها في الجبّ، وبقي رأس الضحيّة معلّقًا في يد مجتثّه، وحاذوه ذات اليمين وذات الشمال. وائتمنوا لدقائق عدسة التصوير على كتبهم المطويّة، والتهمت تكبيراتهم المعتلّة ما أهلّ به لغير مصوّر البريّة.

مفرغة

سُرق أثاث المدرسة؛ فتعطّلت الدروس، وتقرّر بعد أسبوع إعادة شراء كلّ مستلزماتها، واستغرق القيام بذلك ستّة أشهر، وتكرّرت ليلة العودة المهزلة.

القفص

طرق صدره؛ فتأوّه، تأبّطه، وربّت على جناحيه؛ فخفق وتنهّد.

حدود الطاعة

دعوه إلى حفلة شنق علنيّ، فلبّى، واتّقى، وتسلّل إلى بيت الجيران، وأعدم الجاسوس في حضرة سعادة سفير بلده المستتر.

آباء اللهب

خلعوا باب الحافلة، هشّموا، ونهبوا، وحرقوا، ولم يلتهم السواد كلمتي «نقل» و»تونس».

أجسام الذاكرة

سرقت خلوّ لبّه، فشاء أن يسكنها، ويقتحم طيفه أجساد متعاقبة تحفظ بعضًا من سند وجوده في اختلافها.

مجرّدة

توجّسوا خوفًا من شهرته؛ فألقوا القبض على كلّ صوره ومتعلّقاته الشخصيّة، وأعدموها في قبّة المبكى.

الحذر الحذر

سألوه النصيحة، فقال لهم: «ثلاثة لا يؤمن جانبهم: الزمن، واللسان، والنفس»، وزهقت.

زلّة

تشاتما على الملإ، وصمتا أثناء التحقيق، وتبرّآ ممّا نُسب إليهما في المحكمة، وأدرج الملفّ في أرشيف قضايا التضامن الحقوقيّ.

وحوش الظلام

أنفت عتمة الجهل؛ فتعلّمت القراءة والكتابة، واكتشفت ألف خيانة وخيانة.

كيد الصور

همّت مشاهد لم يسترها الحياء به، وهمّ بها، واغتسل، وقال: «سبحانك ربّي إنّي كنت من الظالمين».

حاجات

عضّه الجوع، ولسعه البرد، ولدغه الفقر، ويده ترزح تحت ذلّ السؤال، ولسان حاله يقول: «هل من مزيد»؟

أصداء

دعت عليه بالعمى، أصبح هو ضريرًا، وأمست هي خرساء.

واعده

أوى إلى الصخرة، أصغى إلى أحاديث الصمت، وأسرّها في نفسه.

شهادتان

أذاعوا البارحة خبر وفاته، أعلنوا اليوم عن ميلاده، وهنّؤوه ببعث عظامه وهي رميم.

متوازيان

تناطح الكبشان، كُسر قرن أحدهما، وشُجّ رأس ثانيهما، وشاهد المواجهة صاحباهما الصديقان.

شطحات

اشتروا كلّ نسخ كتابه، سلبوه جواز السفر، وأعطوه الصنف الأوّل من وسام الجمهوريّة.

دائمة

اقتسموا قطعة الخبز، وغمسوا الكسرات في ماء المرق، وتجرّعوها ضاحكين.

الجرن

تزوّجت بعاطل عن العمل، وتطلّقا، وارتبطت بشيخ عنّين، ودفن، وخُطبت مؤخّرًا من مدرّس كهل عقيم، ولم يتجاوز سنّها الثامنة عشر.

معًا من أجل العدالة

تسلّح الجار بالنميمة، وشكا جاره إلى الجهات الأمنيّة، وأفضت الأبحاث إلى أنّ المدّعى عليه ابن خالة وكيل الجمهوريّة، وقضت بعدم سماع الدعوى الكيديّة.

حرام

كان الطريق مظلمًا قفرًا، اتّفقوا على نهب أوّل قادم، توقّفت سيّارة في منتصف الشارع، هرع إليها أحدهم، يتبعه بقيّتهم، هشّم بلور الباب، وفتحه بخفّة وسرعة مذهلة، ولكم السائق، وأخرجه منها، وأشبعوه ضربًا، واستولوا على ساعته، ولم يجدوا في جيوبه إلّا ورقة، ولمّا قرؤوها على ضوء مصباح يدويّ، تبيّنوا أنّها وصيّة منتحر.

مناسب

دفع الطاولة بعنف، قام، وأسقط بكلتا يديه الكتب والأوراق، وصاح بأعلى صوته: «لعن الله العلم والتعليم». رنّ جرس الهاتف، قال: «من المتّصل؟». انقشع الغضب، وتهلّلت أساريره، أخبروه أنّه مرشّح ليكون وزيرًا للتعليم العالي والبحث العلميّ.

على حين غفلة

صاحت مرتعدة في وجه المقتحمين للمكتب: «هذا غير معقول.. من سمح لكم بالتعدّي على حرمة المكان؟! لا.. لا.. لا لا». دمّروا، وعبثوا بكلّ محتوياته ساخرين، حزموا كلّ الوثائق، أخذت بتلابيب من ظنّته سائسهم

بينما هم يغادرون. صرخت في وجهه: «أين إذن النيابة العموميّة؟».
صفعها، بصق في وجهها، وطرحها أرضًا قائلًا: «ألا تفهمين؟».

قادر بغيره

كان «سيّدنا» رجلًا بدينًا، يدفعه الصبية ليجتاز باب الكتّاب، هطلت أمطار غزيرة، حضر، وتخلّف الأولاد، وفي اليوم الموالي جاؤوا، فأمطرهم بوابل من الشتائم، وعطس مرارًا وتكرارًا، وقال: «لا يقربني منكم أحد بعد اليوم». أطرق، وقف أمام الباب. وقال: «ما بالكم لا تدخلون»؟

البورصة

كان مسكنه خاليًا إلّا من سرير، وكانت كافّة ممتلكاته ضمن فراشه، اشترى خزانة، وباعها مكرهًا بعد شهرين، واليوم أخلى الغرفة.

حجب

تأمّل صورته على وجه الطاولة، صام ثلاثة أيّام عن الكلام، وأفطر على شقّ جملة: «أريد".

جراس

كان مولعًا بصيد الذباب، يترصّده، ويصفعه بكلتا يديه، دهسته شاحنة مساء، وكساه الطنين

صاعد نازل

«عفوًا الآنسة إكرام عبيد». بقي الرأس مطأطأ يشاهد الجريدة برهة، ثمّ قال: «الطابق الخامس». أوصله المصعد إلى الأعلى، وجد الاسم ملصقًا بباب المكتب، ولمّا همّ أن يطرقه، أطلّ وجه حسن، قال مضطربًا: «أودّ المشاركة في المناظرة..». قاطعت حديثه، وقالت:» بحوزتك الوثائق المطلوبة ومعلوم الاشتراك؟». بهت، توتّر، وقال متلعثمًا: «أيّ معلو..». أقفلت في وجهه الباب، جرفه سيل الشتائم الّتي ردّدها، فتح باب المصعد، تأمّل لوحة الأزرار، ابتسم متشنّجًا، وضغط بشدّة على واحد سالب.

الوعد

قالت له السماء: «اكفُر»، قال مستنكرًا: «ما أنا بكافر»، قالت: اكفُر بوجودك فأنت واهم".

اسوار

يجتمعون تحت جناح الظلام، تتسلّق أعينهم حبال السماء، يغريهم موت القمر بالسفر، وتأسر أطلال النجوم أبصارهم، وتغرق عقولهم في بحر السواد، ويستيقظ فيهم حبّ الخطر.

بقيّة

ألقى جسده النحيل على الصخرة، وسكب السمّ على جسمه، ترشّفه، غشاه الضباب، أغمض حواسّه، ودبّ فيه دبيب الحياة.

الرياح المقدّسة

صوّب فوهة آلة التصوير نحو آلاف الآهات الخرساء، اقتفت مخالب الكواسر آثاره، والتُقطت لجثّته عديد الصور.

خدمة العملاء

أودع في البنك مائة وعشرين دينارًا، تغرّب أربع سنوات ليحصل على شهادة الدكتوراه، ولمّا عاد وجد نفسه مدينًا للمصرف بنفس المبلغ.

شأن عامّ

مرّ والعيون عنه غافلة، سقط أرضًا؛ فحاصرته من كلّ حدب وصوب، وسامته سوء التفحّص، وامتصّت رحيق الواقعة لتلوكه الأفواه وتنهشه النفوس.

ترانزيت

اختفى العلف المركّز من مخازن التعاونيّة الفلاحيّة يوم وصول الشحنة، واجتاز الحدود بعد بضع ساعات.

الأوقاف

أطلقوا سراحه البارحة، وجد تهمة تنتظره أمام باب القفص؛ فتحفّظوا عليه حتّى يستردّه سجن العمر.

شبّه لهم

كان يرى الأشكال والألوان بوضوح، ولم يكن يحسن ذكر أسمائها، شاخ، وكلّ بصره، والتفّ العجز بالعجز.

غير مصنّف

وشمت أجساد النساء حاجات في نفسه، ونبذنه، اغتصبت الخمرة أنفاسه في الحياة، وكفّن جسده برد الزرقة الداكنة.

عربيّة

تنازعوا بادئ الأمر من أجل فنجان قهوة، تشاتموا، تقاتلوا، ولمّا أجهدهم الأذى، انتبهوا إلى أنّ التراب تجرّع القهوة، وبقيت في الفنجان الساقط قطرة، ترشّفها أحدهم بنهم وسرعة، وبصقها فورًا متقزّزًا لأنّها مرّة.

لن تبور

صاح فيهم: «قاتلوا يرحمكم الله». قالوا: « تنقصنا الأموال والحميّة». قال: «لكم عبقريّة أقلامكم لا تَظلمون ولا تُظلمون"

بالية

جفّت بشرتها وتشقّقت سبعين حولًا أو يزيد، غابت عما يشبه البيت يومًا وليلة، ووجدت جثّتها تكسوها حزمة حطب.

من ورق

غصّ القارب بمائة وخمسين نجمة قطبيّة، أسكرتهم أمواج العتمة تطويها العتمة، تسلّت بلطمهم أسبوعًا، وابتلعتهم في لمحة أبصار وهميّة، وأنجت الدفّة.

وفاء

شنق بنطلونه دهرًا، اهتريا، وفارقا وجه الأرض، ولم يبق منهما إلّا بضعة أزرار ثبّتت على سروال الوريث.

الهارب

كانوا يعدّونه أحمقَ، وكانوا لا يرونه إلّا راكضًا أو مكدّسًا على الأرض قد هدّه التعب، يسأله بعض من يلقاه عن إصراره على الجري طيلة الوقت؛ فيقول: «أفرّ من سواد يلزمني كظلّي".

المطاف

صرخ في وجهها قائلًا: «تعودين إلى المنزل بعد منتصف الليل يا عاهرة!»، ابتسمت عيناها بمرارة، أخرجت من بين طيّات ثيابها القارورة المنتظرة، قال: «أين العشاء؟»، قالت: «متعبة»، صفعها، حاول أن يلقي بها إلى خارج البيت، ولج ألم حادّ جسده، رأى دمه يترقرق، وانكسرت الزجاجة، لحظت عيناه تتأمّلانها، وقال صوتها المختنق: «والله متعبة".

إفتراضيّة

أخوان كلّما التقيا بعد غيبة يتحدّثان عن الطقس والغلاء والرياضة، ويفتعلان الابتسامة، وينسجان الضحكة، تموقعا رقميًّا.واقتصر تواصلهما على «يعجبني» و»أنشر» و»أيقونة أضحك".

المحيط

رسم طفل أعمدة وسقفًا، قال أبوه مشفقًا: «ما هكذا يرسم البيت، أين الجدران؟ أين الأسوار؟ أين الشبابيك والأبواب؟». فقال الصبيّ مبتسمًا: «أخشى يا أبت أن يُسكنني الخوف سجنًا".

المعاليم

تآكلت خيوط السياج الحديديّة الحادّة ، ألقى بجسده البالي من خلال الفتحة إلى حديقة المبنى المهجور، أطلّ عليه رفيق التشرّد، ولعق جروح الولوج الدامية.

ضرورات

سرق أيّام الدراسة كتبًا من مكتبة الجامعة، باعها ليجد ما يسدّ به رمقه، أصبح الدكتور أستاذًا بذات المؤسّسة، ولا يزال يستهويه سبي مصنّفات المكتبة.

ظلال

جاب شوارع المدينة يبحث عن الأفق، لم يره، عاد من منفاه، عاتبه ريح الأرض، وعضّت الأعين عليه الأنامل من الغيظ، سأل وحي المكان نظره عن المدينة، همس قائلًا: «عمران يحجب السماء".

صورة

تحبّه، تحتضن ثيابه كلّ يوم، تغنّي، تطرب، تستنشق العطور، تغازل بشرته بين الحين والحين، تقبّلها بخشوع، وتخفّ لرؤيته كلّما أبصرت المرايا.

مفرغ

استأصل الحرّ منه الماء والصبر على العطش؛ فاستظلّ بظنّه أنّ مقصده قريب، ضاق صدره بالناس والمحرّكات والذباب. شارفت الشمس على المغيب، وبقي نقطة في حشد نقاط تنتظر وصول الحافلة

تشكّل

يكره الاعتداء على الفوضى، يعتقد أنّها أعقد أشكال الترتيب، ويرى أنّها منشأ ومآل كلّ نظام، تتلاشى علاقته مع من يصادف ليجد نفسه حرًّا من جديد.

شاهد

علق شال أمّه بأغصان الشجرة، حاول عبثًا أن يستردّه، اتّسخ، تهلهل، زار الحيّ بعد عدّة سنوات من انتقاله إلى شقّة أخرى. آذاه وجود بناية قائمة على أنقاض الذاكرة، وأصبح مذ ماتت أمّه يزور كلّ يوم الشال المستمسك بالشجرة.

نحام ورديّ

سمع قول أحدهم: «أيّ مترو هذا؟» وجواب آخر قائلًا: «رقم أربعة»، ركض، اندسّ في جموع المتدافعين. أسعفه الحظّ، وجد موطئًا لقدم واحدة، خامرته الشكوك، تيقّن أنّ الوجهة خاطئة، ولم يتسنّ له النزول إلّا في المحطّة الثالثة

رقود

عاشر بقايا الجثّة الدامية، تجنّب الاطّلاع على وجهها، استعاذ من شيطانه، أبصر عينيها تقتنصانه، مُلئ منها رعبًا، وولّى منها فرارًا. وأفزعته أنفاس الضحايا تكمّم أنفاسه.

مآدب

اعتصموا بموائد المدينة، أكلوا حتّى اخشوشنوا، وشربوا حتّى اختنقوا، وداستهم غيلان من طين لازب.

حداثة

كان يمقت الزواج، ويعشق الثورة الرقميّة، أصبح طبيبًا مختصًّا في أمراض النساء والتوليد، وعجّت عيادته بالنسوة وآلات التصوير المخفيّة

.حركيّة

يعيش في الدار عشرة أشخاص، باب البيت نهارًا بالكاد يغلق، والحنفيّة شبه عموميّة، وراحة التلفاز ملغيّة، والثلّاجة دائمًا منارة. وأبواب الرزق كلّها موصدة وراء الستارة.

صقيع

توجد على معطفه آثار قبلات أمّه وصويحباته ومقاعد الجامعة الخشبيّة، رفض بيعه أيّام الجمر، توظّف، وألقى به في حاوية الزبالة المشقوقة.

كتناف

سلّطوا عليه الظلام من كلّ جانب، تداعت نفسه للسقوط، اتّسعت حدقة الحفرة، تخاطفت أشلاءها قبل أن تهوي طيور الأبابيل. وبقي جسده يروي القصّة لأبناء العتمة.

متآكل

جلس بين يدي وحدته، تطلّع إلى الفراغ الّذي يملأ عينيها، تلبّد عقله، اضطربت حواسه، وخفّ حمله؛ فأدرك أنّ الخواء معد.

الرشاد

تفشّى الطاعون في المدينة، اشتكى الناس منه ومن تعدّد حالات الاغتصاب والنهب والفوضى، واتّفق نبلاؤها على العودة إليها بعد أن يلتهم الداء الرعيّة ويبقي على الثروة.

هويّة

داهمه الليل، رسم وجه وطنه على حائط المستشفى، قبّل جبينه، وهام على وجهه يسعل باحثًا عن مأوى.

دوران

نظر إلى الشمس، تجهّم، ابتسم متبرّمًا، رفع يديه إليها متضرّعًا، وراقص ظلّه حتّى أغمي عليه.

ثنائيّ

اقتصر عمله ليلًا على تكرار قول جمل بعينها، يومه تغرب شمسه قبل أن تشرق بغمضة عين، وعقله منفصم عن لسانه.

روابط

عاش طيلة عشرين سنة وحيدًا، استقدم ابن أخته الباحث عن عمل ليؤنس وحدته، لم تتسنّ له مجالسته إلّا نادرًا قبل أن يرحل. صادف شيخًا مهملًا؛ فأسكنه الشغور المطبق.

منشّط

كان يمتهن حرفة التصفيق في اجتماعات الحزب الحاكم، استُصدر حكم بحلّه؛ فتوارى عن الأنظار، رأوه الشهر الماضي في أبهى حلّة جالسًا في مقهى، سألوه عن حاله، قال مصفّقًا: «بوركت من أحزاب وبوركت من ثورة".

أهواء

كان القاضي بمزاج زوجته رهينًا، إن دمدمت عليه ملأ الأرض جورًا، وإن رضيت يؤجّل قضايا اليوم إلى قادم الأيّام.

مشرئبّة

استحبّوا تسلّق الجبل على القفز في الحفر، بلغوا قمّته، طوّق القرّ أعناقهم، واستدبر ما استقبلوا من أيّامهم.

درجات

يسكن «العمّ يحيى» في بيت قصديريّ قرب السكّة الحديديّة، يمرّ القطار؛ فيهتزّ المنزل وما فيه؛ لذلك علّق صور من آل إليهم الحكم لعلّها تسقط.

العاقبة

اختصم غرابان، واحتكما إلى عظيمهما، قال الشاكي: «دأب هذا الأكحل على سلب الغربان ما في مناقيرها من الحبّ». قال كبيرهم: «كم أخذ اليوم منكم من حبّة؟». قال: «سبعة»، انقضّ حاكمهم على اللصّ، وأشبعه نقرًا ونتفًا قائلًا: «سبعة وتقول خمسة"

خُلّب

يحكى أنّ رجلًا بخيلًا أراد خطبة ابنة أجيره، فقصد بيته، وقال له: «لقد جئتك في أمر فيه أجر لك، ولا أحدّثك فيه حتّى تطعمني خير زادك فأرضى»، فطمع الأجير، وجاءه بأنفس ما ادخّر من الطعام، وصاحبنا لا يشبعه الدسم، ولا تتعبه اللقم حتّى أتى على كلّ ما في الدار من زاد، فسأله الأجير عن الأجر وقصّته، فأجابه البخيل قائلًا: «أمّا الآن وقد علمت صنيع العصا فلا حاجة لي في العصيّة".

الخاطفون

سمع المارّة صراخ الرجل يقول: «أوقفوا اللصّ أوقفوا ابن إبليس»، ورأوه يطارد طفلًا مذعورًا، فانقضّ بعضهم على مطلب الرجل، وأذاقوه ألوانًا شتّى من اللكمات والصفعات والشتائم. ذهل الصبيّ، وأخرسه خوفه وفعلهم، ولمّا لحق الطالب بهم استخلصه من أيديهم لنفسه شاكرًا لهم صنيعهم ومتوعّدًا الصغير بأقسى أنواع العقاب، وجرّه راكضًا، وأجبره على أن يستقلّ معه الحافلة المغادرة، وانشغل الناس بالتباحث في أمر «ابن إبليس» حتّى أسكتهم نداء امرأة مستغيثة: «ابني خُطف، ابني ضاع، ابني يا ناس".

آه أنا عربي

لم يعثر على بطاقته الوطنيّة، قرأ جريدة وول ستريت المتّحدة الأمريكيّة، وارتدى ملابس فرنسيّة، وأخفى البطاقة حين وجدها بين طيّات شماغ صنعته أيادٍ محترفة بريطانيّة، وشرب قهوته الإيطاليّة، وشاكس خادمته الفلبّينيّة، ثم ودّعها، وامتطى سيّارته الرباعيّة الدفع اليابانيّة، وحدّث نفسه قائلًا: «آه! يوم مملّ منذ البداية!»، وألقى نظرة ملؤها الضيق على ساعته الجديدة السويسريّة.

علاج نفسيّ

يعاينه الطبيب مرّتين في الأسبوع، غير أنّ حالته الصحيّة ما انفكّت تسوء منذ بضعة أشهر، ألف طلاوة حديث معالجه وطيب معشره؛ فنشأت بينهما صحبة، قرأ يومًا الخبر في إحدى الجرائد، انتفض واقفًا، واتّسعت عيناه تتأمّلان عنوان المقال «القبض على دكتور مزيّف".

الكادحون

تأمّل الجباه العَرْقَى تحاصره من كلّ جهة، صرخ في الوجوه المكدودة قائلًا: «والله ستنالون أجوركم قريبًا، أنا أيضًا مثلكم، لم أتقاضَ ملّيمًا منذ عدّة أشهر»، انفضّ الجمع في هياط ومياط، ولج مكتب المدير، أخبره أنّ كلّ شيء على ما يرام، فقال له ربّ المصنع مبتسمًا: «غدًا إن شاء ربّ العالمين سنكون في النمسا".

دوّامة

كان مقامرًا مثخنًا بالخسائر، فقد كلّ ما يملك وما لا يملك، أودعوه السجن عقدًا من الزمن؛ فأقلع عن شرب الخمر، وأدمن على المخدّرات المفتخرة.

طلقات

انبطح في الخندق، دسّ يده في الصندوق، والتقط شريط الذخيرة المتبقّي، لم يهبه كسابقيه الثقة والنشوة، انتابه شعور غائر وغادر أصمّه، أحسّ أنّ الرصاصات الأخيرة الّتي يطلقها تمزّق صدره.

غاشية

علت الأمواج علوًّا كبيرًا، اجتثّت الأشجار والبنيان من رحم الأرض، واحتملت كلّ ما تنوء اليابسة بحمله، وأسكنته جوف المياه، وانتكصت

لقاء

تقابلوا، تجاذبوا أطراف الحديث، تبادلوا الابتسامات والقبلات، تواعدوا قبيل افتراقهم، فاختلفت قلوبهم، وتعدّدت الروايات.

فرقة

ملّكوه عليهم، اتخّذ منهم بطانة وجندًا، يعملون بين أيديهم ، يستحيون نساءهم، ويذبّحون أبناءهم، فلمّا خرّ تبيّنوا أن لو كانوا يعقلون ما أسرف سفهاؤهم، وما لبث ضعفاؤهم في العذاب المهين

وجوه

ابتسم للمارّين، حدجه بعضهم بنظرات الريبة والسخط ، سخر منه مراهق، أجهش رضيع بالبكاء، راودته عن نفسه بضع عيون. وابتسمت في وجهه أمّ عجوز وطفلة.

على غير هدى

سألوه عن عطب في رجله، قال: «سرت يومًا على الرصيف على غير عادتي، فدهستني درّاجة نفّاثة»، قالوا: «وما أعورك؟» قال: «أدليت بشهادة حقّ؛ فاقتصّوا من عيني إثر خروجي من مبنى قصر العدالة".

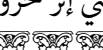

مولانا

أراد السلطان المرور بين أمواج الرقاب المشرئبّة، ضرب بعصاه الجمع؛ فانفلق، أبصر وجهًا قبيحًا ضاحكًا أفزعه، تفَل فيه؛ فتصارعت بقيّة الوجوه تنشد بصقة.

حقوق

تفحّص المحقّق صفّ الطلبة المرصوص أمامه تلطمه من الخلف أكفّ الشرطة، صاح في وجوههم حانقًا: «ما ينقصكم يا أبناء الأفاعي؟ تأكلون بملاليم، تتنقّلون بملاليم، تسكنون بملاليم، فتتآمرون. حسنًا! ستضربون مجّانًا كما تشتهون». ركلهم واحدًا واحدًا، وأمر أعوانه باقتيادهم إلى القبو، جلس منهكًا، ولمّع حذاءه حتّى استعاد شيئًا فشيئًا بريقه.

قفص

- هل أنت طالب؟

- لا

- هل لديك وظيفة؟

- لا.. لا

- يؤسفني أن أخبرك أنّنا استرجعنا جواز سفرك المنتهي الصلاحيّة، وأنّنا نمنعك من السفر.

أسير

تتأرجح عيناه، يعلم أنّه أعجز من الحبل المتدلّي يشدّ وثاقه، أغرق العرق الغزير صور ماضيه ويومه، وأقضّ مضجعه الطول اللامتناهي لنفق الزمن.

واعدة

امتطى الحافلة في جملة اللاهثين وراءها، سبح في يمّ راكبيها، لمح الفتاة الّتي خلبت مفاتنها لبّه، جاورها، تفحَّص ما برز من جسدها بلهفة وجرأة، اضطربت بشدّة. قالت له: «ألا تستحي»؟ قال: «جرّدتني رؤيتك البارحة مرتدية البكيني من كلّ شيء.». انفرج ثغرها عن ابتسامة، وقالت: «لكلّ مقام حال".

قف

بلغ بائع المناديل من العمر عتيًّا، أسند مذ كان طفلًا ظهره إلى نفس الحائط، هاجر ولداه سرًّا إلى أوروبا، واليوم رأى الناس يده ممدودة خارج الركام تمسك بمنديل مثخن بالدماء.سراب

يعشق حرف السين، لا ينجو من هوسه به فعل قد ينبس به، كذلك ظلّت أفعاله في الحياة مسكوتًا عنها، وخطوات أقواله في السياسة لا محسوبة ولا محسوسة.

ما الداء؟

ترعرع الصبيّ في كنف الجوع، كان يمصّ خلسة الحلوى الّتي يعرضها للبيع، اتّضح حين فقد الوعي ونقل إلى المستشفى أنّ المتضوّر جوعًا مصاب بداء السكّريّ

فتاة الغاب

لا يخلو وجهها من آثار الاعتداءات، تحرّش بها عشرات أشباه البشر، تقضي كلّ يوم وقتًا طويلًا حتّى تكفّن جسدها في عدّة أثواب قد تفتر ضراوة المفترس.

خسر

يعلّق حذاءه على باب المسجد، ويركض في الباحة كالطفل، ضربوه مرارًا و تكرارًا، لم يتب، ربطوه بسارية، قرأ سورة العصر عدّة مرّات، ولمّا حانت صلاة المغرب فاضت روحه وهو حافي القدمين.

مفاهيم

سألت الأمّ ابنها عن سبب وجومه، تعالت ضحكات إخوته، وأخبروها أنّه تحصّل على صفر في مادّة الحساب. قالت: «وما الصفر»؟ قالوا: «كعكة». ابتهجت، زغردت، دسّت في يده دينارًا، وحضنته بقوّة.

بياض شفّاف

عيّن نفسه رئيسًا مديرًا عامًّا للبنك، وأوكل لأقربائه وخلّانه المهام الجسام فيه، أعلن عن فتح باب الترشّح إلى جائزة من سيريح البليون؛ فأصبح كلّ من له بطاقة هويّة من عملاء المصرف، وقّع كلّ المشاركين على الورقة التي أمّم جناب الرئيس بموجبها مدّخراتهم بالبنك، وتخلّد بذمّة المتسابقين بلايين عدّة.

عابر سبيل

يحبّ التجوّل في أرجاء المدينة في ساعات متأخّرة من الليل، يلاقي في طريقه جرذان الإنس وبومات الجان، يشتمّ روائح البول والخمور، ويصادف الأنوار السكرانة تتقلّب على قارعة الطريق وفي عتمة الدرب ووحشة المصير.

ماهيّة

يسأل نفسه كلّ يوم نفس السؤال: «ما أنا»؟ فتختلف كلّ مرّة الإجابة عن سابقاتها، دار على غير أسمائه، واعتصرت رحى المدلولات كنهه.

حلقة مفقودة

كان يضرب ابنه خمس مرّات في اليوم، يجهل الضارب والمضروب المقصد والسبب، شاخ، وهرم، وانقلب الحال؛ فجُهل المآل، وبطُل العجب.

بلد الميم

اقترف كلّ ما عرف من محرّمات العقائد والأعراف، أخبروه أنّ المآذن مُنعت في أرضهم، ارتقى المدينة، أذّن بالحقّ صامتًا. وانتحر عاريًا.

شيخ الأنابيب

أصيب بعدّة عاهات وأمراض، عاش أيّامه معتلًّا ناقصًا كأفعاله، كتب وصاياه العشر، وهو منذ عام الربيع قابع في غرفة الإنعاش المحتاجة إلى الصيانة.

تكاثر

مزّقوها إربًا إربًا، ثمّ بعثت من بعد الشقّ أشلاؤها، استحيت بنات أعينهم، وكوت بالرماد جباههم وألسنهم، استحالت وشامًا غائرة في نفوسهم؛ فأخذتهم صور الصور أخذ عزيز مقتدر.

طلعة

ابن السلطان طفل تستهويه رؤية دماء العباد مراقة؛ لذلك طلب ربّ العرش من وزيره قتل العدد الّذي يرضي الأمير من البشر. تهلّلت أسارير وليّ العهد المنتظر، وأومأ برأسه يمنة ويسرة إلى الحاشية الخرساء بحذر، فهمس الأب المشفق المبتسم قائلًا: «ما هكذا تؤكل اللقمة يا بنيّ".

وأطيعوا

اتّبع خطوات الشيطان حتّى وصل إلى مسجد بني على جرف هار، أبصره آل البنيان؛ فخرّوا له ساجدين حتّى إبليس أبى واستكبر وكان من المعظّمين.

خارج القسمة

طردهم صاحب البيت والقاضي، سكنوا في كهف بجبل يؤوي أمثالهم من الأسر، هجر أطفالهم الخمسة المدارس، وانكبّوا يبنون بيوتًا من الحصى والحجر.

الممحاة

كتب اسم القتيل بحروف من فحم، ألقي عليه القبض عند أوّل مفترق طرق، وألقي به إلى حلكة المكتب؛ حيث فقد القدرة على الكتابة.

بعد العسر

اهترأ رباط حذائه الضاحك، تشقّق حزامه الجلديّ الغليظ، ورزح جسده النحيل تحت وطأة الأحمال، هطلت أمطار غزيرة يوم دفنه، ولم يحضر جنازته إلّا حملة نعشه.

حلبة

يسقط أوّلًا كلّما تسابقا. قرّر الآخر تغيير أصول اللعبة؛ فأسقط كلّ منهما الآخر على الخطّ المشبع بالأحمر

حصّالة

لبس الخيّاط ثيابًا مزركشة من أقمشة زبائنه، انفضّ معظمهم من حوله إثر غزو بضائع الصين تعضدها الملابس المستعملة، وبلي ما ادّخر من رقع تسترها الرقع.

المعبر

أفنى الساعة تلو الأخرى ينتظر، بعثروا محتويات حقائبه، أتلفوا بعض أمتعته، وأرجعوا إليه جواز السفر سالمًا في عجل.

من الإيمان

يعمل زبّالًا منذ ثلاثين سنة، لا يزيل اغتساله ما وشم جسده من أدران، يستيقظ حين ينقطع الماء عن حنفيّة الحيّ، ويغتسل يوم الجمعة الأوّل من كلّ شهر.

وجع

كان يحبّ وخز القنافذ بالإبر، أخبروه بأنّ لحمها شهيّ ونافع؛ فأصبح يخزها بالسكّين قبل ذبحها.

ابن الكار

بيت النجّار بابه من حديد، شبابيكه من ألومنيوم، وأثاثه الخشبيّ مصنوع في البندقيّة، استعجب جلّاسه من الأمر، فقال لهم: «إنّي أعلم ما لا تعلمون".

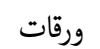

ورقات

كسا جسده بمئات الصور الّتي التقطها لنفسه وهو يرتدي أجمل حلله، انزعج حين هبّت نسمات الربيع، وانكشفت عورته.

السدنة

أخرجوه من الجبّ، وقالوا: «ألقوه في النار ليخلو لنا وجه ربّنا، ونكون من بعد ذلك قومًا صالحين». ضحك، اغتاظوا، قال: «رأيت الله مبتسمًا، أفلا أكون من الشاكرين»؟

دوامان

موظّف يعود إلى المقهى منهكًا، يلوك أعراض الناس، ويحتسي القهوة، وتجرّه رجلاه جرًّا إلى بيته يتضوّر جوعًا وتعبًا.

أصابع الزمّار

يتصفّح القنوات التلفزيّة والجرائد بحثًا عن جمل من قبيل «اربح معنا»، ويقترض شهريًّا ليسدّد تكاليف الإرساليّات اوالمكالمات الدوليّة، سُجن لمّا أفلس، وأخبروه في الحبس أنّه فاز برحلة لأداء مناسك العمرة.

الغطّاس

عاش دهرًا من الزمن يعاقر أرخص أنواع الخمور، باع بعضًا من نفسه لأحد النخّاسين لقاء زجاجة «وسكي» من الصنف الرفيع. فقتلته جذوة النشوة.

العادة اليوميّة

يقول لها إنّه يحبّها، وتقول له إنّها تحبّه، ملّ كلاهما من تكرار نفس الجملة؛ فحوّلت النزاعات مجرى الكلمة، وانتهت عاصفة العواطف بصفعات وكلمات نابية.

ذمّة

يسوق أغنامه تارة، وطورًا تسوقه، يدين لها بكلّ ما كسب، وتدين له بشبع آثم وريّ عاتم.

الاستغناء

قضى شطرًا من حياته في جمع ما يزيد على حاجة بعض الناس وبيعه للبعض الآخر، وقضّى شطرها الثاني في بيع ما يحتاج إليه كلّ الناس واقتناء ما يعجز جلّهم عن شرائه.

خبايا

يرهقه كثيرًا حمل حقيبة الأقنعة المثقلة، يتخيّر أوفقها بحسب الأحوال، يغرسها فيما يحويه جسده من الأتربة، ويتسلّح برمح لاقتناص ما دفن في براميل بشريّة أخرى.

على الفراغ

أنشئ المبنى آهلًا للسقوط، زفّت البشرى لأهل المدينة؛ فوقفوا على قدم وساق، واتّسعت أعينهم تتأمّل المبنى الوحيد المشرف على مساكن من خراب.

اللاهث

تآمر عليه بجوده، أعتقه عقله، ووشى به صمته ولسانه، وأفنى أيّامه راقصًا يطوف ببرازه يلهيه التكاثر.

بين المخدعين

نصب خيمته في القصر، أطرق، ثمّ تمطّى، وأبقى نصف جسده الأعلى خارج الخباء تجهره آلاف الأشعّة الكهربائيّة، أطربه عمى الأنوار، وأسرّ في نفسه قائلًا: «خير الأمور أوسطها".

موثّق

ولد شبه بصير، عاش شبه أبكم، ومات شبه مقعد، وأفادت السلطات الرسميّة بعد الاستشارة أنّه توفّي صحيحًا معافى.

حلقات

كاد أن يفترسه الجوع الجائع؛ فسعى بين نابي الغول يطارد نحلة، والغول مستلقٍ على صخرة يسوقها المنحدر بالسلاسل إلى العتمة العطشى.

الجذور

يسألونه مرائين عن حاله، فيقول كاذبًا إنّه بخير، يضحك كلّما تكرّر ذلك، ويقول: «رحم الله آباءنا ووقانا شرّ مآثرهم».

مغلقة

يجتمع الموظّفون كلّ شهر مرّة، يصمتون، يتهامسون، ويتلاومون، فيدعم كلّ منهم فريقه، وإن ملّوا أو جاعوا يتوافقون. أعفاهم مديرهم الجديد من إبداء الآراء وإيجاد الحلول؛ فأصبحوا يجتمعون مرّة كلّ أسبوع.

رواسب

يرتقي التلميذ منذ سنوات بتفوّق، درست ثيابه حتّى أضحى لا يلبس إلّا الرقع، وأجبره أبواه على الانقطاع عن التعليم؛ فلم يبرح مكانه متسوّلًا على باب المدرسة.

عبـث

إن تحـدّث يسـمعه القـاصي والـداني، يعشـق القهقهـة والسـعال الغليـظ والمهمهـة، وكلّمـا ظفـرت عينـاه بأحـد معارفـه يرفـع عقيرتـه بالنـداء. اقتُنـص أبنـاؤه الثلاثـة؛ فالتهمتـه الحرقـة، وأخرسـه صمـم القـاضي.

فتنة

يعيش في دولة القردة، يأكل ما يأكلون، ويرقص كما يرقصون، قتلت التخمة كبيرهم، وكاد يفني بعضهم بعضًا طلبًا للعرش. فاحتكمت الرعيّة إليه، فقال: «اقتلوا جميع الأمراء فهم رؤوس الفتنة». قالوا:» الآن جئت بالحقّ»، فذبحوهم، وصلبوه.

فكر

قال له الراوي: «كن قارئًا تتقمّصه كلّ الشخصيّات»، أجابه قائلًا: «ما أنا بقارئ»، قال: «فآوِ إلى كهف الحبر. والْبَثْ في الصفحات المطويّة حتّى تُبعث حيًّا.".

بدون طعم

قضم الفأر الجوعان خشب المصيدة، ألجمه الحذر برهة، فعضّه الجوع، أعاد الكرّة، فاحتضنه فكّ المصيدة، واعتصره الوجل والوجع طيلة نبضات عدّة.

حمم

اجتاحت حمّى الرقص أجسادًا غضّة، أطلقت سراح أيديها، قفزت، وتلوّت، كدحت إلى الوهن كدحًا، ثمّ استرخت، استردّت أنفاسها الّتي زهقت، وبقيت الأبدان تغلي وتعرق.

من علق

فار تنّوره، وغرق نعلاه في الدنس، مسح عليهما كما مسح رأسه، ورغب إلى ربّه، ولم يصلِّ، وركب ما خلع على باب المسجد، وأبحر في وحل الأحذية.

رضي الله عنه

قاضي المدينة مقطوع اليدين، ولا ينطق من الحروف إلّا سبعة، احتار الناس في علاجه، فكالوا له اللطمة تلو الأخرى، أنطقه الضرب؛ فقال: "رفعت كلّ الجلسات، وأجّلت إلى أن أمنح العصمة".

الحوكمة

أرهق الجنرال جبل الأوسمة الجاثي على صدره؛ فأصدر مرسومًا يقضي بتوسيم جميع الناخبين والناخبات نيابة عنه، ووعيًا منه بضرورة تشريكهم في تحمّل أثقل أعباء الحكم.

سلطان الجراد

يتبعونه في حلّه وترحاله، حاشية عاملة ناصبة، يأكل ما يغنمون في بطونهم إلّا قليلًا ممّا يحصنون، اختطفته يد المنيّة؛ فأمسوا رؤوس أموال تجوس خلال الديار.

الفقاقيع

قال له منتشيًا: "صوتك يليق بفنادق الخمس نجوم". رسمت الخيبة على شفتيه ابتسامة محترقة، وقال: "والإذاعة"؟ برقت ضحكة مدويّة في عيني مخاطبه، اقترب منه، وهمس في أذنه قائلًا: "الله يرحمك ويرحمها".

الجفاف

حرث يديه سبع سنين دأبًا، سقاهما عرقًا، وجنى لقمات مغموسة في التراب والملح، وبارتا؛ فكان من الشاكرين.

المقبرة

نشأ في مدينة يرزح الفقر فيها تحت وطأة ما في جوفها من فسفاط. وتتنفّس شمسها ظلمة خانقة، ودّ استخراج رغيف خبزه من بطنها؛ فلم يظفر إلّا بصفرة تدبغ أسنانه وأنفاسه كلّ يوم أكثر فأكثر.

العرض

في بلاد السلاحف يتحرّش كلّ يوم بالسلطة عميان وعراة وكهنة، يصرعون الثور في الحلبة غالبًا كان أو مغلوبًا، ويسلخون عينيه وجبهته وأنفه، والناس عيون تدمع وأخرى تراهن.

قرص ليّن

يضع خدّه على خدّ الوسادة، وينام، تتقطّع أوصال شريط حياته، تتكوّر، تتعانق، وتتتالى صورًا يراها فيما يرى النائم، قد يتلف بعضها أو يهمل في خضمّ فوضى الحواس، وكما في كلّ نومة يبني الهدم الذاكرة من جديد.

في تضليل

يفيق، يحدّث نفسه عن نفسه، فيقول: احذره ألف مرّة و مرّة". يغادر بيته، يزرع الشوك في دربه، ويكمن لملازم ظلّهويمسي ملومًا محسورًا لما فرط من أمره حتّى يسقيه الأرق سمّ الموت وترياق الحياة.

لباس

فرح امرأة عقد قرانها في مزاد خمريّ، قايضت مومسًا بطّانيّة بثوب فتّان، تلبسه لتستجدي المال من سيّدها، وتخون جسدها. فيخونها وعيها غصبًا، وتتقيّأ.

القشّة

يعيش تحت سماء داره وحيدًا، يحيط به بحر الفوضى من كلّ جانب، عاد الليلة إلى بيته يتأبّط الصمت وتلفّه العتمة، ارتمى على الفراش، بقيت عيناه معلّقتين بين السماء والماء، أفلت كلّ النجوم، وحلّ شرّ الغاسق الّذي وقب.

المشنوق والحلوى*

أراد السائح تصوير ساقه الخشبيّة والأدران الّتي تواري جسده ورداءه، أبى، عرض عليه ورقة نقديّة، تردّد كثيرًا، ثمّ قبل، سمعه يقول له مررًا: "صايل..

صايل-"***. آلمه الجهل، وسكنت ملامحه الريبة، رآه يحرّك فمه ويده طالبًا منه أن يضحك، انفرجت شفتاه، وتدحرجت دمعة، خلبت الصورة لبّ المصوّر، وابتسامة الذلّ ما زالت تدمع.

خيره لأهله

كان رجلًا بخيلًا سمينًا، يكرهه البخلاء لبدانته، ويمقته غيرهم لشحّ نفسه، حان موعد قسمة تركته، وسئل الحاضرون: "من منكم أهله وذووه"؟ فاشرأبّت الأعناق، وتطاولت الأيادي.

المواشي

بحث عن الزريبة، لم يجدها، تبخّرت، كيف حصل هذا الأمر على هذا النحو المفزع؟ حاول أن يتذكّر معالم الطريق، كاد يجنّ جنونه، حرث أرجاء المكان جيئة وذهابًا، رأى رجلين، فسألهما عن مقصده، وجما، ومُلئا منه دهشة، وقال أحدهما: "إنّ الزرائب تشابهت علينا؛ فكلّ الزرائب الّتي نعيش فيها كهذه".

*** يقول المثل التونيتي: "لا ينقص المشنوق إلاّ أكل الحلوى".

تلقائيّ

يستفيق مذياعه دومًا قبله، يوقظه، ثمّ يخرس، حيّره أمره، عرضه على أمهر العابثين بالمذاييع، وقالوا له نفس الشيء: "لابدّ أن تكون أضغاث أحلام كظنّنا أنّه يمكنه أن يُصلح". لم يفق منذ يومين، والراديو المسروق يصدح مذ ألقي في المقبرة.

قشّة الطاعة

أركبه والداه عندما كان صغيرًا عنقيهما من الرحمة، فأمضى أمره وزمجر، شبّ عن الطوق، وسرق سواري أمّه المحدودبة الظهر والنفس، وركب الريح؛ فامتطته لعنة الغربة.

ملاك

سدّ نتن الرائحة الأنوف، وخنق العقول؛ فهرع الناس إلى الشوارع يجوبونها بحثًا عن مرقد ومبعث النتانة، عثروا على جثّة طفلة لم تبلغ ربيعها الرابع محشوّة منذ شهور في إحدى ثلّاجات الصحّة العموميّة، ينكر والداها نسبها، ويتلاقف مستشفيان تهمة تولّي دفنها حفظًا للداء ودرءًا لحقيقة

موتها وشبهة وجودها.

أكفان

أخبره جدّه حين كان صبيًّا أنّ السماء الّتي نعقلها حيكت من خيوط الكذب. قال له: "إنّ أوّلها مواطئ أقدامنا وآخرها لا يعلم". وعلّمه أن يطير قفزًا، أنبأه أنّ الرتابة نظام لطيف الاختلالات الّتي إن تواترت انهدم وأنّ كلّ شكل نظام، ولمّا بلغ أشدّه قال له: "إنّ الكبر والجهل يقبعان في نفسك فاهجُرها في المضاجع".

منتصف الطريق

استرق السمع إلى دقّات قلبه، سمعها هذه المرّة بوضوح تتذمّر من حركته المحمومة ودخان سجائره المكبوت، أعلنت ساعة وعيه وفات يوم وميلاد يوم آخر، أحسّ بأنّ قمقم صدره يحبس أنفاسه، وأنطقه سؤال أخرس: أيشارك الفقيد فرحة الانعتاق أم يأسى لولادة زمن محتضر بين أحضان العذاب واللذّة؟

عامل

يتقاطر عرقه على حبّات الغبار حتّى تصبح موحلة، وتكوي شمس الشروق جبهته الّتي جعلها فرط ضغط الدم حارقة، يجرّ رجليه والأوساخ والمكنسة القذرة الّتي يتّكئ عليها بين الفينة والأخرى، ويلقي على الرصيف نظرات غائرة مشفقة، ثمّ يسحب العربة منصتًا لصرير عجلاتها يعانق صفير رئتيه اللاهثة.

ابن العراء

ولد المولود والدًا، أغمض بصره، رأى أمسه يواسيه، ويومه يعاديه، وغده عاريًا يرجمه حتّى يثنيه عن اقتفاء الأثر.

الدرب

مشيت سنين عددًا حتّى أمست لا تعدّ، لم أرَ إلّا جثثًا لا تُحصى تحتضنها ثكالى، بلغت الأبد، فوجدته شابًّا يافعًا أعمى أصمّ أقعده الهرم.

صيّب

يسمعونه يومًا بعد يوم، يخشونه، تدهشهم قدرته اللامتناهية على الكلام، ولا يفقهون شيئًا من حديثه، قيل لهم إنّه كاد أن يكون رسولًا، فظنّوا أنّ المثل يُضرب للأعجميّ المهذار.

الماضي

نبشوا قبره، حفروا عميقًا، ولم يجدوه، زرعوا الحفر في كلّ مكان بحثًا عن بقايا جسده، وعاشوا بينها حتّى ابتلعتهم كما ابتلعت رماده حين حرّقوه.

تقلّبات

يلعب ثلاثتهم معًا تحت شجرة اللوز المرّ الوارفة الظلّ، غالبًا ما ينتهي لهوهم بالتعانق والتدافع، فإن يأخذ الإنهاك منهم كلّ مأخذ يتمرّغوا على الأشواك بشراهة.

المرتقى الصعب

يصاب القاضي بالغثيان والاختناق كلّما يرفع الجلسة، فيصدر الحكم بعد المداولة خارج مبنى المحكمة، ويرجع متأبّطًا خيره وشرّه؛ فتحفّه عيون مفقوءة تراه ولا يراها حتّى ينطق بما يمليه عليه قانون عاليها على سافلها.

وراء الكواليس

يتربّع طيلة ساعات على قمّة من قشّ، ويلقي نظرات عابثة فاحصة على سلّة الذباب المحشوّة بكلّ ما لذّ وطاب، يحسبه الناس نائمًا فيمرّون عليه مرّ السحاب، بينما لا يرى هو إلّا رؤوسًا مثقلة راقصة ينتظرها موسم حصاد وشيك.

رمشة رمشة

أصبحت جيوب نفسه وكؤوس شفتيه مفرغة، ووعى جسده الظمأ الوليد في كلّ لحظة مترعة، عبّ الوجوه عبًّا، وشرب الثمالة كلّما جفّفت حلقه قطرات الزمن، حلّ الظلام؛ فنام، ونام فيه العطش المديد.

الطريدة

تجري مشوّهة الوجه تطلب النجدة، لم تسمع إلّا دكّ الفؤاد وخطواتها اللاهثة، ولم ترَ إلّا مخالب عيون قطط سوداء تتوسّطها ألسنة العتمة، سمعت فجأة أحدهم يسعل، بلغت خفقات قلبها الحلقوم، خفّفت وطأة سيرها، وتيقّظت حواسها، وأنصتت، فبلغها صوت متهدّج يترنّح، توقّفت، واستدارت، وسابقت صدى العمى.

عزوف

هجر نايه؛ فسكنتهما العناكب، وطلتهما هبّات الهواء بالغبار المجنون الأليف، بحث عنه في كلّ زوايا ذاكرته وأرجاء الأماكن، فلم يجد إلّا أغراضًا دفينة وأمنيات مصلوبة رثتها النغمات.

حفظ الشاذّ

لم يكن ماكرًا، لكنّ الماكرين سمّوه ثعلبًا، وأسكنوه قنّ الدجاج، وآمنوه عليه، فقتله خدشًا ونقرًا.

الفاصلة المنقوطة

يصادف يوميًّا بِرك الزيت تباعًا في طريقه، لم تخامره بتاتًا فكرة محاولة تجنّبها، يغمس قدميه في كلّ واحدة منها، ويواصل السير حتّى يبلغ السور العظيم، يضرب مرارًا و تكرارًا بجسده عرض الحائط، ثمّ يعود أدراجه ليلتحق بالقطيع.

عمى الألسنة

يبيع التين تحت شجرة الزيتون، يتذوّقه، فيجد طعمه مرًّا وهو عند الزبون حلو المذاق، طعن في السنّ، وذرا البيع، واكتوى لسانه بطعم المرّ.

شبق

تحلّقوا حول الجيفة، أطبق الصمت لأوّل وهلة على نبض الحياة، تبادلوا النظرات؛ فانشرحت صدورهم، واختلسوا الابتسامات، انقضّوا عليها يقطّعونها إربًا إربًا، وعافت الكلاب الهلعة بضع أشلاء بقيت ورائحة الدماء الدكناء.

الرمضاء

أحسّ بما يشبه حرقة الغثيان ونشوة الدَّوار، مشى على كفّيه وركبتيه، واستنشق بلهفة ما لا طاقة له به، تقلّبت عيناه الجاحظتان في كلّ الاتّجاهات على جناح السرعة، وحاول الوقوف حين شبّه له أنّ قلبه يهوي. فجأة ارتجّ كلّ شيء على نحو مميت من شدّة ما يفزع؛ فألقى بنفسه من الشرفة قبيل الانهيار بلحظة.

مبتدأ الخبر

أنشئت مدينة "قارون" على ضفاف نهر نضب ماؤه منذ عقود عدّة؛ فخبا ذكره، ونسي اسمه، هطلت أمطار غزيرة طيلة شهور مديدة، تدفّق النهر، وفاض، ومحا الطوفان كلّ أثر للمدينة؛ فأضحت اسمًا بعد عين.

تفريط

أسكنوه بوادٍ غير ذي زرع، ورحلوا، أشرف على الهلاك، ونجّته أوبتهم، حملوه إلى جنّتين عن يمين وشمال، فخرب بيت الداء. وأهلكته التخمة.

المجاذيب

تدافعوا يرصدون الظلّ الممشوق، عشقوا فتور سواده ورشاقة حركاته، وانبرت أيديهم للتصفيق المصمّ، ولمّا أطلّ عليهم صاحبه ابيضّت أعينهم، واختلطت عقولهم، وقالوا: "ما هذا بشرًا إن هذا إلّا ملك كريم".

موعد

"20 شارع باريس لندن". عرفت شفتاه أخيرًا مذاق عنوانها، لم يبق له إلّا الإعداد لقتلها، لم يكن ذلك بالأمر الهيّن، تنكّر في زيّ أخت معترفة بكلّ آثامها، غادر الدير ليلًا، واقتحم الشقّة في الساعات الأولى من الصباح، لم يجدها، لم يجد جثّتها، فصلّى لروحها، ووضع إكليلًا من الشوك على بطن أمّها المبقور، وابتسم.

الشبكة

قرأت ما كتب رقميًّا: "تنتدب فنادق فور سيزونز موظّفة استقبال". فركت عينيها مرارًا، وأرسلت إلى المعلن صورة وطلب التوظيف والسي في عبر الجي مايل، طلبوا بعد شهر مقابلتها في بيروت، وتحمّلوا جميع تكاليف السفر، حطّت الرحال أخيرًا. وفتح لها السائق الأنيق باب المرسيدس في صمت، ولجت، فأفقدها صوت قائلًا: "كراسيفيا" وعيها، ثمّ أمست حياتها غيبوبة من نسج المغتصبين وسمّ الإبر.

نطفة

يأبى كلّ يوم أن يقبّل جبينه شفتي المرض، فيبقيه مكبّلًا مخزيًّا بين جنباته، يصمت برهة إن سئل عن حالته الصحيّة، ثمّ تستعر فيه نوبة ضحك خامدة، ويقول: "كلّ الأجساد حبلى بالأسقام، وبين المخاض والولادة يتشكّل فينا التشوّه من جديد".

البقاء

قال: "لم أعد أطيق همجيّة هذا الهرّ الملعون"، وعاد إلى البيت بعد أن ألقى به إلى أتون العطش والجوع، فتح الباب، فأبصر الفأر يهفّ، أحاط قطعة الجبن الشهيّة بصمغ كاتم للأطراف والأنفاس؛ فبات ليلته قرير العين، وأقضّت مضجعه في الليلة التالية مشاهدة انتهاكات حقوق الأمم والإنسان.

نوازع

داهمته الرهبة حين استلقى وحيدًا على الفراش حيًّا، لم يكن يعلم شيئًا، هل سيموت هنا أم الآن؟ أثاره نبش أشعّة الشمس لحدقتيه. وبخّر الحرور العرق الّذي كان يدبّ توًّا فيه دبيب الأسد، وشعر بتفاقم حاجة جلده للحكّ؛ فألقى نظرة مشفقة على أظافر لم تظهر بعد.

السراح

"ثق بنفسك" جملة مقيتة حلّت بعد كلّ هذا الضباب، لا يملك أنفاسًا حارّة تقدر على الانتحار، عجزه هو سبيله الوحيد، ولا يدري إن كانت أنأى محطّاته هوّة، كلّ ما يعلمه في هذه اللحظة بالذات أنّه منذ فقدانه

وظيفته تنغمس رجلاه في المجاري وفاهه يقتات من حاوية النفايات.

مصنّف

انقضى يومه الحارّ كما مضى أمسه البارد، كانت كلّ الوجوه على قدم وساق في محطّة ليون بباريس، أجرى اتّصالًا هاتفيًّا آخر بأسرته في غوادالاخارا، ثمّ تأمّل مقاعد يجلس عليها الفراغ بهدوء حذر، لم يشأ إزعاجه؛ فبقي واقفًا، وبينما كان على الرصيف مشدوهًا يشاهد لحظات الانطلاق دفعته بقوّة نحو القطار قبضتان يلفّهما صراخ امرأة: "عربي نجس".

أحوال شخصيّة

يطاردها لعاب النظرات الفاحصة أينما تحلّ، وتشرئبّ من عيون وقحة أذرع تهمّ بضمّها وجسّها وتقليبها على كلّ الوجوه، شاءت سجون الهواء الطلق اعتقالها في بيتها الصغير؛ فأبت إلّا أن تغادره للذهاب إلى عملها كلّ يوم، لاحقها ذات مساء مطارد؛ فتسبّبت له نجاتها في العقم، وأودعها الحقّ العامّ سجنًا مدنيًّا في أحد الأرياف.

عقل

قضّى عشرين ساعة يفكّر، استلقى بعدها كعادته على الأريكة ليرتاح، استمتعت أذناه بطرب طنين الذباب اللجوج، وتحلّقت كلّ محتويات غرفته أمام ناظريه تتراقص بغنج، وقال: "تجتاحني كلّ الحقائق الآن حين أكفّ عن طلب الجهل".

أعباء

لم يكن للرضى متّسع في حياتها، ولم تكن تقنع بمجرّد المساعدة من أحدهم، بل كانت بأحرى لا تريد مساعدة أحد على قضاء شؤونها، وجدت كفيلًا، وانتقلت للعيش معه في منتجعه السياحيّ بلوس أنجلوس، ولمّا سئمت النطق سكتت عن الكلام؛ فاضطرّت العيون لطاعة من لا تسمع.

سرطان

أرداه قوت الوقيد طريح الفراش، وضاقت به الدنيا ذرعًا؛ فعرضته للبيع

في مزاد سريّ، رغب خلّانه عن شرائه، وافتداه داء خبيث ليلتهمه شيئًا فشيئًا قائلًا: "هل من مزيد"؟

مذبحة

حطّ الغراب الأعور على غصن الغيمة، وشاهد رجلًا يرحل بعد أن وارى سوأة خنجره مخلّفًا وراءه رائحة الصدأ الخانقة وجثثًا مفحّمة عيونها تنزف.

حجاب

كانت كلّ مصابيح الحيّ مظلمة، إذ رجمتها نهارًا أيدي الأطفال العابثة، واصل طريقه بينما تحسّست قدماه هضابه وحفره، ولمّا بلغ الباب سعل ودقّ ظاهره من قبله مرّة تلو الأخرى. إلّا أنّ باطنه ككلِّ ليلة ظلّ مقفلًا؛ فظلّ في العذاب يرجو الرحمة.

في غفلة

وقعت أبصارهم جميعًا على كومة العمائم الناصعة الاتّساخ، تهامست الأفواه، وتبادلت الابتسامات، ثمّ علت ضحكة أحدهم، فتلتها ضحكات، ودوّت في الفضاء الرحب القهقهات، وما هي إلّا لحظات معدودات حتّى انتفضت الأجساد وتفتّتت في خضمّ تتالي الانفجارات.

صيد الصنّارة

تعرّفت عليه في المطعم، وعقد قرانه عليها في الجامع، تزوّجت شهرًا يتيمًا، واستنزف طلاقها سنتين وعشرين جلسة، وفي الأثناء واظبا كلاهما على رمي شباكيهما حيثما حلّا.

مغلّفات

أطلقوا سراحه؛ فابتهج، وبحث العصفور عن الظلّ والماء في الصحراء، ولمّا شارف على الهلاك أعيد سيرته الأولى؛ فأغناه القفص عن انعتاق تحتجزه أقفاص عدّة.

جماعة

اجتمعوا في الدهليز المقبور، ورتّلوا أناشيدهم ترتيلًا، وعندما أشرفت الشمس على المغيب، حرّقوا أوراقهم وأطفأوا الشموع المغبرّة، وخرّوا سجّدًا لظلمات الزمان والمكان والنفوس المتّحدة.

عقيدة

كانت ترافقه مسبحته حيثما يكون، تحصي همهماته الّتي لا تحصى، فيسأله الناس عن ذكره، فيقول: "هذا ما علّمني ربّي". انقطع ذات يوم عن الصلاة في الجامع؛ فعاده أصحابه، فوجدوه يرثي ما انفرط من عقد المسبحة، قالوا: "هوّن عليك ما لهذا تهجر بيوت الله". قال: "ويحكم لقد اعتصمت بحبل علّام الغيوب فانفصم".

المستضعفون

تداعى الحائط للسقوط الوشيك، قفز شابّان، وفرّا لا يلويان على شيء، وتبعهما كهل، ولمّا أمن على نفسه، تسمّر في مكانه يتفرّج، فأبصر أجساد نساء ملتحمة تسند البنيان، ولم يكد ينجو صبيّان وشيخ حتّى انتقض عليهنّ في لمحة صرخات مبحوحة.

خطط

يعيد ترتيب أوراقه في اليوم آلاف المرّات، بلي جلّها، وانمحى بعضها، وسقط الكثير منها في سلّة المهملات، وهو لا يزال خاويًا ينتظر أيّامًا حسومًا عاتية.

طلب وعرض

يعشق أجساد النساء العذبة على كثرتها؛ فأفنى عنفوانه ومالًا جمًّا في هواه، ولمّا أحاط به العجز والتهم صحّته الطلب اتّجر بإنتاج الفنون الإباحيّة؛ فزكت ثروته، وافتتنت بتمنّعه غانياته.

دولة البلاليع

كان كلّما سلك طريقًا عامًّا يذهب بعض ماله، تطاولت السنون، وأحطّه الكبر؛ فلزم بيت ابنه لا يبرحه، وانكبّت العقول الفذّة في وزارة الماليّة على مشروع فرض ضريبة متعة قعيد المنزل.

خنادق الذهب

يقطن بيتًا من الأسفلت، يهدمه ويبنيه تباعًا عمّال المقاولات للمدّ والإصلاح، توقّفت ذات يوم الفؤوس والحفّارات والمطارق عن الرجّ، فارتقب قدوم عاصفة لا يعقبها بناء.

جحيم البصيرة

زرعوه عينًا؛ فأثمرت تمرّدًا، وقصدت العاصمة لفضح الصور، تنامى الخبر إلى مسامع صاحب القرية في غضون دقائق، فاقتلعوها من مقعدها قبل أن تثير سيّارة الأجرة غبار المحطّة، وقادوها إلى حيث يستنشق الفزع كلّ أخبار المكان ويستنثر بريق البصر.

مستقرّ ومتاع

لم يكن له مسكن، فاستغلّ أملاكًا خاصّة وعامّة لقضاء حاجاته، أوقفوه بتهمة وضع اليد على عقار الغير بدون وجه حقّ، وسألوه عما نُسب إليه، فقال: "وقفت على باب الله؛ فوجدتكم سلبتموه كلّ أرضه".

دخان

كان يروي نفس القصّة كلّ ليلة، فتنصت آذان مكدودة جائعة له حتّى النهاية، ثمّ تتقيّأ وراء الشجرة حيث تتّقد الجمرات، يكوون صدورهم مستنشقين لهيبها المستتر، ويستديرون من حين لآخر باحثين عبثًا عن النراجيل.

مفعول به

لعبت الصدفة كلّ الأدوار الرئيسيّة والثانويّة في حياته، أطنب في ذمّها تارة و طورًا في مدحها، واختار ذات مرّة أن يستضيف أجله على عجل؛ فهمّ

بالهاوية، وهمّت به لو لا أن خارت عزيمته، وزلّت قدمه، وهلك.

الكهف

تعاقبت على المبنى خلال العقود الماضية عدّة مؤسّسات حكوميّة، جُلبت لافتات، وأزيلت أخرى، وتشقّقت جدرانه الّتي لم يزدها الترميم المتعاقب إلّا جروحًا غائرة، وبقيت أكداس الناس حوله على الرصيف تستنشق عبير مراحيضه وقد أقعدتها نفس الجملة المخدّرة الّتي تنبس بها أفواه الموظّفين: "عد لاحقًا".

علّة

وقف يتفرّس فيها، قال: "هذا أنت! سحقًا للأيّام كم غيّرتك!" سرت في جسدها قشعريرة البغتة، وارتسمت ابتسامة متوتّرة على شفتيها، وقالت: "عفوًا، يؤسفني أن أخبرك أنّ أحدنا لا يعرف الآخر". قال في نفسه: "كوني بغيًّا"، وقال لها وكلماته ويده الممدودة بالفنجان ترتعشان: "ليس قبل أن تترشّفي قهوتي".

أحكام

تحسّست يده المخزيّة جيبه المحشوّ فراغًا، ثمّ جلس قبالتهم، عجّ الهواء المكدّر الّذي تحتجزه الغرفة بالصراخ المتضوّر جوعًا، فنكس رأسه يتأمل معدته الّتي تلقّها الحجب، وخشي على نفسه من خوائها الأبكم، ولمّا رفع رأسه رأى للتّوِ أنّه يذبحهم.

نافذ

كانت نبرات صوته المضطربة تتنفّس عرقًا أبخرَ، بينما هو ينطق بالأحكام: "محمّد اليمنيّ إعدام.. عبد الرحمن البغداديّ إعدام". جحظت عيناه فجأة، تلألأتا، وملئتا غصّة ورعبًا؛ فلفظ اسمه وبضعة أنفاس موءودة، وصمت، بينما غرقت القاعة في الصخب.

وشيك

قفز إلى الخلف متمتمًا: "ربّاه! ربّاه!". أشاح وجهه عن الصور المفزعة، وطعنه إحساس بارد انتفض له جسده؛ فأغمض عينيه، وقضم شفتيه، واستلّه من قمقم الدوّار شعور ملحّ بالغثيان، فأسند ظهره إلى صورته المعلّقة على الحائط، واستفرغ المزيد من صور قتلاه.

حشر

أراد أن يدخل الجمل في سمّ الخياط، وطلب المشورة من بعض الناس؛ فاعتقدوا أنّ به سفاهة، وأعرضوا عنه، فأوى إلى الصخرة؛ حيث وجد شيخًا يرقبه، واستشاره في الأمر كما استشار غيره، فقال: "إن أردت أن يدخله ميّتًا فحرّقه وأدخل هباءه في سمّ الخياط، وإن أردت أن يدخله حيًّا فأسكن الخياط جوف الجمل، وطب خاطرًا، فهو لا محالة هالك فصائر ترابًا فداخل السمّ".

اقتفاء

يركل الباب إن شاء الدخول، ويصفقه عند الرحيل، زجره أبوه، فتمطّى، ولعنه؛ فصمّ، وضربه؛ فتمرّد، مات؛ فأضحى والده يأتي ما كان ينهاه عنه وفي النفس منه شيء.

المقبل المدبر

قطع كلّ هذه المسافات لهثًا وراء العطش، أفلت من نسيج العنكبوت، وغوّر ما وراءه من الآبار، استدار إلى الخلف يشيّع ببصره قفا ظلّه الخالص نجيًّا، فأحسّ بالهواء يلفح أحشاءه لا يحول بينهما ظهر.

رخيص

هزّها هزًّا عنيفًا صارخًا في وجهها: "أيّ ثواب هذا الّذي تبغينه. والله لأشردنّك لتختبري بنفسك أنّ العقلاء لا يطعمون البؤساء لحمًا، اخرجي قبّحك الله". وطردها، جابت الطرقات، ولمّا داهمتها فجأة شاحنة نظرت إليها نظر المغشيّ عليه من الموت. واختلط العظم منها باللحم.

قطوفها دانية

يشدّها من ضفائرها الذهبيّة الطويلة ويطوّق رقبتها بها كلّما اعتصر أنفاسها، أنجبت أخاها، وشنقها حبل اصطنعته من خصلات شعرها، ولمّا رآها المحقّق بلع ريقه وعضّ شفته السفلى بشدّة، وقال: "ربّاه ما أجمل ضفائر هذه الثمرة!".

قانص القافية

يسعى بين الهضبتين يرقبها، وحين يراها تشرق يرشقها بالحجارة، تصيح جدّته قائلة: "كفى! كفى يا بنيّ! تالله إنّك ما زلت في ضلالك القديم". يقول: "بل لئن لم تغرب لأرجمنّها". تقول: "ولن تغرب يا أحمق". فيقول: "ولن أنتهي ما دمت مسيخًا يا بصيرة".

رسول

يرتجّ هو ودرّاجته على الطريق الترابيّ المعبّد بالحجارة، ويتصبّب عرقا حتّى في موسم القرّ اللاذع، لم يكن يأبه لفقدانه السيطرة على أطرافه الّتي باتت تحرّكها الدرّاجة، بل كان منشغلًا بضمّ محفظة الرسائل إليه حتّى تبلغ عيون أصحابها النديّة في قاع الغابة.

نقاط

كان يشمّ ريح الموت في السماوات وفي الأرض، أخبره البوم بالميقات المعلوم. ترقّبه مغمض العينين، لكنّه لم يحضر، صرخ منتشيًا، ورقص متحسّسًا أعضاء جسده السليمة، ولمّا ضاقت الدنيا على حين غرّة انحسر إحساسه رويدًا رويدًا حتّى تعطّل.

على الركح

المشهد الأوّل: أحدب يلحق بسكّير، ويصفعه؛ فيسقطه أرضًا، يركله قائلًا: "هنا صلبت الرحمة فلا تدعوها". المشهد الثاني: تعانق المرأة التاج الذهبيّ بيد فيما تنكش بيدها الأخرى شعرها، تستدير فجأة، فتنتبه إلى وجود عشيقها جالسًا على مدفع، فتندفع نحوه، تقبّله، وتقول: "الآن فقط يمكنك الذهاب إلى الجحيم". المشهد الثالث والأخير: قرويّ يهرول جيئة وذهابًا، يُفتح باب الكوخ، وتطلّ منه امرأة عجوز دميمة الخلقة، وتقول: "أنجبت زوجتك غرابًا". يفرح الرجل ويقول: "من شابه أباه فقد ظلم".

قرب

أدمن أحدهما النظر إلى الآخر من خلال البلّور، تهلّل وجهيهما رضا، واقترب؛ فاقتربت، وأفرزت أنفاسهما وجوها مضبّبة، رسم بإصبعها قلبًا، ورسمت بإصبعه سهمًا، ثمّ حاولا أن يمحوا ما بقي من الضباب، فاستعصم.

بين الأموات

كانت الدماء تقطر طيلة يومين على رأس المقعد الضرير، بقي لساعات كسيحة حيًّا عطشًا، وبقيت الجثث تترقرق دمًا، أعدم الظمأ صبره، فتجرّعها مكرهًا، ولمّا نشفت جفّ ببطء شديد.

رواج

فرش الكتب بتؤدة الواحد حذو الآخر على صفيح الرصيف الساخن، ورفع عقيرته بالصراخ: "كتابان بدينار يا عطشان". أثار كلامه سخرية من حوله، ولسعت التهكّمات سمعه، فقال: "كتابان بنصف دينار للمتعطّش لهما من جائع عطشان"، فلم يلتفت له وللكتب أحد.

ازدواج

يلعبان منذ عقد من الزمن لعبة القطّ والفأر، تبادلا الأدوار مرارًا وتكرارًا حتّى كاد يفني أحدهما الآخر، فاختصما لدى القاضي المحتجب، سألهما قائلًا: "من الشاكي"؟ قالا: "كلانا ظالمان". فضحك، وقال: "من بغى على صاحبه أوّل مرّة"؟ قالا: "مولانا لمّا بثّ فينا الفتن"، فقضى بخنقهما خفية بذيول الستائر.

المبتور

ترقّب القائد موشي نزول العنكبوت بسرعة في الفنجان، انفرجت شفتاه، وترشّفها مع القهوة بهدوء، ثمّ استدار بكرسيّه، أبصر أغصان الأشجار الكثيفة المطلّة عليه من خلال النافذة، فاقشعرّ جسده تقزّزًا، وقال: "كم مرّة يجب عليّ أن أذكّرهم بوجوب اقتلاع كلّ هذه الأشجار المقرفة".

طوعًا وكرهًا

يعيش منعزلًا عن روحه، يبغضها على قدر عشقها له، جرّب ألوانًا شتّى من الانتحار، ولم يفلح، باع جسده لأهواء عبيد الشياطين، فلم يزهقوها، رقّت لحاله؛ ففاضت عيونها من الدم، وفاضت تحفّها أجنحة اللعنة.

مرادفات

قال الأب: "دكتور هذا كلّ ما بحوزتنا من المال". تأمّل مخاطبه شاردًا خطوط كفّه المتناحرة، وعقارب ساعته اليدويّة المهرولة. ثمّ قال: "لا يكفي"، فأجابه قائلًا: "لكنّ هذا هو المبلغ الّذي طلبته منّا البارحة". أشاح عنه الطبيب وجهه، وقال متبرّمًا: "أقساط تكاليف العمليّة تزيد كازدياد حالة ابنك سوءًا."

غير فقيد

فقد رأسه قبل موته بدقائق، وظلّت الرأس مفقودة، فدفنوا بقيّة الجثّة، وجدها الصبية ذات ليلة، وأخبروا ذويهم، فرأوها في الصباح مجدوعة الأنف منزوعة اللسان.

المهديّ

اجتمعت الضفادع على إحدى ضفّتي النهر يلفّها النقيق من كلّ جانب، قال كبيرهم: "أعلوا عظيمكم، وأجلبوا؛ فتهابكم معاشر المفترسين"، فأسرّ الثعبان الذي علّم منطقهم في نفسه قائلًا: "لبّيك يا إمام الهالكين لبّيك".

نكهة

يفترش الجرائد ليرقد تحت الجسر المؤدّي إلى المحطّة، لا يكاد يرى من وجهه إلّا الشحوب؛ فقد غاصت ملامحه في جلده يكسوها شعر مطليّ بالغبار، تارة يرجمه الصبيان بالحجارة، وطورًا يسبّه وينهره المارّة، وتارة أخرى تصيح مذعورة لمرآة. غير أنّه يعجب لقدرة الجلبة الّتي تصحب مرور القطارات على محو كلّ هذه الأدران من عقله.

الدوّامة

انتظر القادمَ جالسًا على كرسيّ في ركن المقهى المهمل، تتطلّع عيناه إلى كلّ مارّ ومارّة، وتحدّثه نفسه بنهش ما حرّم من الطيّبات، ملّ تأمّل كوب الشاي الوحيد الذي ترك توقيعًا على الطاولة، فاستخرج بمشقّة المحمول من قاع جيبه السحيق، ودسّ قطعة النقود في كفّ النادل المارّ بجواره، وقصد مقهى آخر يتمّ فيه الانتظار.

أوبة

تدفّقت الأفكار على العمّ صالح حتّى أضحت مستنقعًا كريهًا، أغمض عينيه فجأة، وصرخ: " كفى.. كفى.. كفى.". ثمّ التفت إلى الخلف جزعًا؛ فأبصر ظلّ السواد يستوقف أحد الشبّان قائلًا: "شباب! بطاقة تعريفك؟" مراقبًا إيّاهما، فابتسم الشيخ في وجهه، وشتمه، ثمّ انتابه ضحك جارف حين ألقى بنفسه إلى الطريق والسيّارة الّتي سرعان ما أخرسته.

ذلول

بقي يهرول كالمعتوه، وكثير من الخلق يلاحقه، قبضوا عليه، ضُرب بالعصيّ، ورُكل، ولُكم، وأُخذ بتلابيبه، وصِيح في الناس: "ما جزاء من أراد بجماعتنا سوءًا إلّا أن يُذبح أو عذاب أليم". فتعالت الأصوات بالتكبير وبقولهم "يُقتل"، قيل: "الآن جئتم بالحقّ"، وفقعوه.

بئر معطّلة

استفاق باكرًا، وتقلّب متمطّطًا ذات اليمين وذات الشمال، لأيا ترك فراشه مكرهًا، ولم يدبّ فيه جنون الحياة الجارف إلّا حين استعصى عليه فتح باب الغرفة المقفل، فتح عينيه من هول الفزع الّذي انتابه، وسرعان ما استوى جالسًا، واستدار يمينًا وشمالًا. فلم تقع عيناه إلّا على الظلام.

العابرون

جرى الصبية يقطرون عرقًا صائحين: "ماء! ماء!". تحلّقوا متدافعين حول البركة، فانقشعت سحب الحشرات من فوقها سحب، واختلطت أطراف الأطفال المخدوشة بالماء الأخضر والطين، وارتوت أبدانهم بما أطفأ بعد

ليال عشر صدى أصواتهم بين الهضاب والحفر.

غواية

طرق باب السجن، ففتح، أطلّ من خلفه السجّان، وقال متعجّبًا: "هل أنت قارئ"؟ قال متردّدًا: "أصبت"، قال: "فادخل السجن إن شاء الله آمنًا"

النفق

قال في نفسه: "يوم مضجر منهك"، أعجزه الوهن؛ فلم يستطع أن يتنهّد، بحث في البيت عما يؤكل؛ فلم يجد شيئًا، أدخل يده في جيبه فلم تصادف أصابعه فيه إلّا الثقب الّذي لم يرتق، حدّق في السقف المتشقّق، ثمّ مدّ يده إلى السيجارة الأخيرة الملقاة على الطاولة، ولم يكد يشعلها بلهفة حتّى اجتاح عينيه الضباب الأسود.

يؤسف

تحلّقوا حوله بسرعة السيل كالذئاب، خدشه أشجعهم؛ فانهالت عليه الأنياب والمخالب، فارقته الحياة، فلم يفارقوا جثّته، ولمّا وصل إخوته لم

يجدوا إلّا ثوبًا ملطّخًا بدم كذب.

لا تذر

احتار، وارتبك، وتصبّب العرق من جسده غزيرًا، تسمّرت ملامح وجهه أمام سؤال ينعي ذاكرته الفقيدة اللا مرحومة، أتمّ اجتياز الاختبار، ثمّ عاد إليه متشنّجًا وقد بلغ قلبه الحنجرة، طلب من المراقب الإذن بالتدخين خارج قاعة الامتحان، فقال: "بالطبع ليس هناك أدنى إشكال تفضّل". أشعل سيجارته، وأخذ نفسًا عميقًا تلو النفس مستذكرًا سدى الإجابة المنسيّة بعد سنوات البطالة السبع، تأمّل أرضيّة المكان الناصعة النظافة، فنادى الرقيب قائلًا: "سيّدي أين يمكنني إلقاء رماد السيجارة"؟ قال: "أرضًا.. في أيّ مكان.. لا يهمّ". فأجابه متحرّجًا: "لكنّ الممرّ نظيف يا سيّدي". فقال له متبرّمًا معطيًا إيّاه سطلًا أبيض موجودًا في القاعة: "تفضّل ضعه هنا". التهم ما بقي من سيجارته، وعاد إلى مكانه بخفّي حنين وذاكرة من دخان.

بون سواريه[****]

قذف أوّل قارورة جعة فارغة إلى الظلام الحالك، سمع مواءً حادًّا يصمّ الآذان إثر تهشّمها، علت ضحكاته الهستيريّة، ثمّ تتالت القوارير الّتي اعترضت طريقه فركلها بقوّة، تعثّر بسكّير مكدّس على الأرض، فسقط، وارتطم وجهه بشدّة بقارورة النبيذ على جانب الرصيف؛ فسالت منه الحياة بهدوء.

غمضة

يقطن في غرفة خانقة بالسطح، يسمّيه جيرانه منذ خمس سنوات بالجديد؛ لأنّه آخر مكترٍ بالعمارة، يعودون كلّهم إلى أوكارهم قبل الساعة الثامنة، بينما لا يعود هو إلى قبره إلّا في أولى ساعات اليوم الموالي؛ لذلك كثر الهمز واللمز بشأنه، علموا اليوم أخيرًا سرّ عودته إليه متأخّرًا: "إنّه مروّج للهلوسة".

سهرة رائقة

بعد الفاصل

صرخ في وجهه: من ستنتخب؟

تململ الرجل، وبدا عليه العبوس، وقال بصوت غاضب متقّطع: "لا يحقّ لك". ثمّ ابتلع بمشقّة ريقه، وأتمّ متلعثمًا كلامه قائلًا: "سيّدي العمدة هناك ثورة في البلاد". فباغتته صفعة حجبت عنه النور وملأته رعبًا، وسمع صوت مخاطبه يقول بعنجهيّة صارمة: "ردّها عليّ إن استطعت يا بن الحرام".

المسعى

تتدحرج آلاف المرّات، وتهرول في سعيها بين الرجاء والخيبة ما لا يحصى ولا يعدّ من مرّة، اهترأت قدماها حتى اخشوشنتا، وأنبتتا مسامر منغرسة محرقة، كان الشمس والقمر دائبان يرقبانها دون هوادة، وفجأة انطفآ، تسمّرت في مكانها، رفعت عينيها إلى الأعلى، ثمّ رمتهما بسرعة إلى الأسفل، وتأمّلت الظلمة الدامسة في كلّ ما حولها، ولمّا حاولت أن تجلس حيث توقّفت ابتلعتها الفوهة.

عموميّ

كانت كلّ أحذية روّاد المقهى متشابهة، فكلّهم زبائن العمّ صالح إسكافيّ القرية الأوحد، أبصروا ذات ظهيرة زوج حذاء مستوردًا برّاقًا لم يسبق لهم أن رأوا مثله يشقّ طريقه بينهم، تفرّسوا في وجه صاحبه الأنيق فارهي الأفواه، علت أصواتهم توشوش متسائلة عن القادم الغريب، و أسرّوا الحسد، وأبدوا الريبة، شرب الشاي على عجل، ثمّ تأبّط جريدته، وخرج من المقهى. رفسه حمار سيّدنا الشيخ إمام المسجد الأعمى؛ فتشفّت منه عيون قد غشّاها ما غشّى.

وسط المدينة

أطلّ من شرفة غرفته على الشارع وعلى البنايات المجاورة بشهيّة كبرى وكأنّه يبصرها للمرّة الأولى، تأمّل مرحًا الزبالة المتراكمة المتبوّلة الّتي أصابته بزكام مزمن، واتّسعت ابتسامته وعيناه عند اندلاع العراك اليوميّ بين جارة وأخرى. فجأة سقط شيء على رأسه؛ فتسمّر، لمسه، ثمّ نظر إلى يده؛ فرأى على أصابعه ذرق عصفور، خنقته رائحته الكريهة ولزوجته المقزّزة. وقال متأفّفًا: "بِي عْعْ".

براجم

أعادها مرارًا و تكرارًا: "افتحي يا ثورة". فاجتاحت نوبة محمومة من القهقهة الجموع الغفيرة أمامه. كانوا يتحسّسون خفية قطع الطين الجافّ ليتخيّروا أجودها، ثمّ تتلقّفها سرًّا أفواههم المفتوحة بشراهة متزايدة، أنهى خطابه بقوله: "تحيا الحريّة"؛ فصفّقوا طويلًا، وقاموا، تصادمت عصيّهم، تعثّروا، وتدافعوا؛ فهوى بعضهم على بعض، وكتمت بوّابة الخروج أنفاسهم المعميّة.

هباء

دخل إلى القاعة الكبرى مسرعًا تتعثّر قدماه بأطراف بنطاله الطويل، فيما كانت عيناه المندهشتان تتجوّلان في أرجاء المكان، رآه القطّ الرماديّ السمين المائل لونه بعض الشيء إلى الخضرة، أخرج لسانه الحادّ الطرف عدّة مرّات متتالية كالحيّة، ثمّ رفع رأسه، تمطّى، أدار له ظهره بخفّة، وتكوّر من جديد بسرعة ككعكة متعفّنة.

هوى

مرّ مرور السحاب تحت النافذة، كان ينصت بانتباه حالم إلى صوتها الملائكيّ المداعب لأنفاسه اللاهثة ونبضات قلبه الثائر، انعزل للحظات عن كلّ الّذين يمرّون به مرّ الكرام، وأحسّ أنّ الريش قد اجتاح سريعًا كلّ أنحاء جسده، تجاوزه الصوت، والتقفه ألم صاخب علّمه فنّ الطيران في برهة.

شاهد

امتطى صهوة توجّساته المعتلّة، وشقّ بها غبار من سبقه، أدمن النظر إلى جوازه وإلى التذكرة الرقميّة.

ـ "وثائق السفر من فضلك."

انتفض جسده من هول المباغتة، قدّم لها بسرعة ما طلبته منه متأمّلًا خفية ملامح وجهها، وزلزلت قلوب كلّ من حولها إلّا فؤاده الميّت لمّا سمعوها تدوّي قائلة: "من؟؟ .. محمد عطا السيّد؟!".

ذات

بحث طويلًا عن اسم الشارع، حرثه جيئة وذهابًا عدّة مرّات. ملّ الكفيف المتوسّد جدارًا مروره المتتالي؛ فناداه قائلًا: "ما بالك يا هذا؟ عمَّ تبحث؟". قال: "عن اسم هذا الشارع، لم أجد ما يشير إليه". فقال: "ولِمَ لَمْ تسأل؟". أجابه: "رأيت أفواه الناس هنا من شمع." قال: "اقصد نفسك، فهذا شارع الشمعدان في ظنّك، والناس فيه خرس ورُعن كعقلك".

هوائيّة

تحلّقوا حول طاحونة الهواء رافعي الرؤوس نحوها، تبادلوا النظرات للحظات وكأنّهم يبحثون عن غائب، وفجأة انكبّوا على الأرض يجمعون الحجارة الصمّاء، ورجم بعضهم بعضًا حتّى سقطوا وأشرفوا على الهلاك؛ فأصغوا إلى الأنين في صرير الأشرعة الدوّارة.

ضيق

ـ "النداء الأخير.. من القبطان باتشي إلى بقيّة طاقم السفينة، المطلوب نقل بقيّة المسافرين إلى قوارب النجاة بأقصى سرعة".

ـ"كات". نظر إلى سيجاره الكوبيّ الّذي خنق دخانه الكثيف مكان التصوير، أمال ذقنه إلى الأسفل، اصطكّت أسنانه ثلاث مرّات بينما جميع عيون الطاقم تتأرجح بين "التالي" و"نعيد". حكّ أذنه اليسرى. فأسلموا رقابهم للسيّاف.

المشعل

خطا بضع خطوات والجًا القاعة المغطّاة؛ فوقع بصره أوّل الأمر على سقفها الشاهق، جهرت بصره عشرات الأضواء الكشّافة، وربّت مرافقه على كتفه قائلًا: "حان الأوان لتسبح". أومأ برأسه طائعًا، ونظر إلى الأسفل؛ فرأى المسبح مستنقعًا موحلًا.

دنيا

أحاطت به الأسوار والأبواب من كلّ جهة، أفزعه ما رأى، وانتقل من باب إلى باب يطرقه ويحاول تحطيمه، فُتحت فجأة؛ فوجدها تشرف كلّها على هوّة سحيقة، زُلزل، وراح يغلّقها كالمجنون، ثمّ قعد، ولمّا ملّ الجلوس قام يصارعها من جديد.

عدم

صرخ متوتّرًا: "هراء هراء كلّ ما أكتب!". نظرت إليه مشفقة على ما آل إليه بعد سنوات السجن العشرة. استقرّت عيناه عليها؛ فاضطرب لمرآها وكأنّ السماء انشقّت وقذفتها إليه. صاح في وجهها المتجعّد قائلًا: "ستخبرينهم بكلّ ما أقول وأكتب. أليس كذلك؟ حسنًا! إذن فلتعلموا أنّني أمقت الجلّاد، وكلّ الخرس أمثالك. أدرك أنّ كلّ من مثلي ذُبح. الآن فقط أعلم ما يجدر بي أن أصنع". ثمّ هرول، وألقى بنفسه إلى رحب الفضاء من الشرفة.

العراء

جلس معهم يصطلي النار كما يصطلون مستديرًا بين الفينة والأخرى إليها. ناوله أحدهم كوب الشاي كاشفًا عن أسنانه الصفراء المفقودة بعضها والمتداعية بقيّتها للسقوط، وقال: "أعجبتك أليس كذلك"؟ أجابه: "أسيبعن في تلّ أبيب"؟ قال: "عاهرات!". لم يترشّف شايه بل عبّه عبًّا. ثمّ ضاق الفضاء بقهقهاتهم وصراخها ووعيده ونحيبها، ولمّا قضى منها وطرًا. مشى مرحًا، بصق دمًا، وحكّ لحيته، وقال لهم: "عذراء كافرة ساقطة!".

صيحة

صعد الصخرة داخل الكهف، رفع يديه باتّجاه آلاف الرماح الحجريّة المسنّنة المشهرة في وجهه، تمتم، ثمّ صرخ ملء شدقيه منتشيًا وجلًا، ارتجّت الأرض، وثبتت الصخرة، استنشق ملء رئتيه غبارًا. سعل منخلع الصدر منهارًا، وسقط مغشيًّا عليه، ثمّ أفاق لمّا رجّت الرماح رجًّا؛ فشقّت ألمه شقًّا، وملئ سكينة وسلامًا.

عبق

منذ بضعة أيّام يستيقظ مبكّرًا فزعًا. تتحسّس يده أشعّة النهار الأولى بحثًا عن ساعته اليدويّة، ينهض كما يطفو الغريق فوق الماء. يستدير يمنة، ويدقّق النظر في الساعة، يعجل إلى إبريق الماء ليملأه، ويفتح بسرعة النافذة على مصراعيها، يتنفّس ملء جفنيه وهج الشمس الحارق، ثمّ يروي عطش النعناعة باكيًا من كانت ترعاه وترعاها.

القُمرة

رفع قلمه عن الورقة، دلّكت أطراف أصابعه المتوتّرة جبينه بقوّة، تصبّب وعيه عرقًا، ونزفت عيناه الجاحظتان دماء متجمّدة، انسلّ القلم المتململ من بين أصابع يده اليمنى في الجانب المظلم من المكتب، وانتفض فجأة صارخًا: "ثورة! ثورة!". فانقضّت أوصال المكتب، وتمّ حينها الكسوف؛ فانعدمت الرؤى، وتشتّت الرؤية.

تدبير

"هل نشتريه؟" قالها وقد غشّت بسمته سحابة المكر الشفيفة، وجم القزم بعد برهة متمطّطة لما رأى من عزوف سيّده عن الإجابة، ثمّ عاوده بالابتسام المغيّم، وقال: "هل نسجنه"؟ انتفخ وجه مولاه السمين العابس؛ فتدارك الأمر قائلًا: "نقتله". فتنفّسا الصعداء، وانقطعت أنفاس صدوقة مدرارة.

المهاجر

كان ينعتني بالأحمق دومًا. وكان يقول أيضًا إنّي كسول غاية الكسل، لم يزعجني ذلك أبدًا؛ لأنّه صادق، ما حزّ في نفسي أنّه لم يعد يسعني سماع ذلك منه، لم تنطفئ شمعته، ولم يخرس، وإنّما فقد رجاحة عقله، يسمّونه مجنونًا، لكنّي تعلّمت منه الصراحة؛ لذلك أخبر نفسي دائمًا بأنّ عقله قد فرّ متجاوزًا كلّ النعوت بأشواط لا تنضب.

هداية

يجلبون الصخور من سفح الجبل، ويكتمون بها فراغهم من كلّ شيء وصدى أنّاتهم، قد يرجمون الشياطين القابعة في بطونهم، وقد تصادفهم في طريقهم إلى النور؛ فترجمهم، وتأمّ أشتاتهم.

الصلوحيّة

رأى مقعدًا شاغرًا؛ فاتّسعت ابتسامته، وتقدّم نحوه بخطى سريعة متعثّرة كحفيده يحيى، بينما كان يدفعه بكلتا يديه شابّ متأفّفًا قائلًا: "تمهّل وانتبه يا عم!". لم يتفطّن إلى أنّه كان مدفوعًا إلّا حينما ألقي به على الكرسيّ؛ فحنق، وصاح قائلًا: "زمن شؤم! لا رحمة فيه ولا تربية!" اعتدل في جلسته، واستدار يبحث عن وجه غريمه بين الوجوه المضبّبة.

بقايا

ينام على رفات أوراق الجرائد الّتي يستخرجها من بطن القمامة، يشتمّ روائح رحلتها في الوجود، ويتدثّر صدره المضطرب بأكفان يصطنعها منها، ألقوا به في السجن؛ فأضحى يفترش لفافة القرّ، ويتشمّم قاع الحضيض.

العلق

توقّفوا كعادتهم أمام بسطة الجرائد، تأمّلهم العمّ عليّ صاحبها مليًّا، ضاق بقراءتهم لمختلف الصفحات الأولى، قال أفّ عديد المرّات، سعل، وهمهم، وضرب كفًّا بكفّ حتّى تورّما، ثمّ نهض يعرج، وجمعت يداه المرتعشتان أكداس الصحف في عجلة بينما ظلّت العيون مشرئبّة تلتقط الكلمتين والكلمة.

تهريج

يضحكنا طيلة الوقت، ويتقن فعل ذلك جيّدًا، يربطنا إلى وتد أحاديثه الشيّقة الساخرة، وتتأمّلنا عيناه المتلألأتان المبتسمتان، نسأله دائمًا عن حاجته الملحّة للإضحاك؛ فيجيبنا هازئًا: "ذلك أنّي وأنّكم والآخرون نجوم في فضاء المهزلة".

كشف

ينظر إلى ما يعتقد راسخًا أنّه الفتنة فيما يبصره منها، وتبحث عن السكن بين أحضان صوته وعينيه، تلطم نظراته العارية بصرها؛ فينكسر، ثمّ لا يلبث أن يتعلّق من جديد بقشّة خباياه الّتي لا تدرك.

صمم

أضحت مدمنة على الإصغاء إلى كذبه الأبيض منه والأسود، وأحبّته، تعلم أنّه ضرب من الوهم الصرف، غير أنّها مقتت بياض صفحات حياتها الداكن، وعلّمها الإحباط المكثّف أن تتقيّأ من فورها ما تسمع.

شفاء

شغل نفسه بطيران النحلة في الغرفة، حيّرته، أرهقته، ثمّ أثارت غضبه، وألهبت غريزتي الأذى والتشفّي فيه، باءت كلّ محاولاته لاغتيالها بالفشل، وأخرجت لسعتها ما في صدره من غلّ.

مشيئة

جالس الشيخ تلاميذه، وقال: "ما الإنسان"؟ وجموا، وحملق بعضهم إلى بعض خرسًا، تململوا، وهمّ اثنان منهما بالتهامس. فأخرسهما سيّدهما، وحوقل، ثمّ استغفر، وبسمل، وقال: "عبد". قالوا مندهشين: "وإن لم يعبد؟". قال: "هو كذلك".

فساد

نكّروا له عرشه، وبلغه الخبر؛ فانتشى حتّى ظنّوا أنّ به جِنّة. قالوا: "ماذا نصنع؟". قال: "نسلم الأمر والنهي للرعيّة"؛ فنكّسوا رؤوسهم، وقالوا: "أنطيعك ليجعلوننا أذلّة"؟ قال ضاحكًا: "و هل نحن الآن أعزّة؟".

بوح

يحبّها، لا يعلم إن كانت تبادله تلك النشوة المحمومة المتدثّرة بسواد ليله أم لا، لا ينكر أنّ الظنون الحافّين من حول عقله آثمة كجهله، إلّا أنّه يعلم من نفسه ما لا يعلم، إذ كلّ القرائن الّتي ابتدعها تحمل أوزار لهفته وسؤله.

نذير

يتذكّر ذلك الحاجز المتفكّك الّذي كان يفصله عن بلد الجيران، كان قبيل كلّ مغرب يشيّع ببصره كلب القرية الأجرب الّذي كان يتجاوزه برشاقة، ويخاطبه صارخًا: "لا تعد ابقَ هناك". لم يطعه إلّا البارحة؛ لذلك قرّر أن يلحق به اليوم، مشى بضع خطوات، باغته الدويّ كما باغته قبله ألم الحرقة، ترنّح، وزلّت قدمه؛ فوقع في حفرة جمعته مع كلب الأمس الأجرب.

رمل الطريق

يعشق سماع أغنية "بكتب اسمك يا حبيبي" كلّما تذكّرها، يردّد صوت فيروز الدفين في قلبه كلمات الأغنية ألف مرّة ومرّة. تتراءى له ملامح وجهها متموّجة باسمة؛ فيحسّ برغبة ملحّة في إغماض عينيه لاقتناص السرور، تقمعها رغبة أشدّ في تأمّل ابتسامات من نسج صورتها.

افتراضي

بقي ينتظر طيلة ساعات متمطّطة، أقفل حاسوبه وأعاد فتحه مرّات غير معدودة، حاول أن يشغل باله عنها وعن انتظار إجابتها بأشياء، أهملته منذ زمن خلا وأهملها، تحدّته عقارب الساعة كلّما غافلته عينه وعن جنب أبصرتها، أُفرغ وجوده من كلّ الأرقام، ولم توجد الإجابة الرقميّة.

طاعة

يعلم أنّ المودّة ثقة تولد لتموت أو لتكبر، ينتابه الفزع كلّما يحاول التخمين، رغب في منحها هذه المرّة لها، تساءل عن كنه اختيار لم يختره، حذّر نفسه من مغبّة قطع آلاف الأميال طلبًا للسكن فيجد الوحشة، إلّا أنّها سكنته، وما قضت قد قضي.

أيّام

العمّ يحيى رجل طاعن في السنّ، استبقى له الزمن سنًّا متآكلًا يلفّه السواد، يستفيق كلّ يوم باكرًا، ولا ينام إلّا سويعات مريضة، يسكن تحت عربة القشّ محاطًا بقطيع الـ"باع" "باع". يلتفت يمنة ويسرة في حلكة الفجر يتفقّد أغنامه، ثمّ يزحف، يتنفّس نسيم اليوم الجديد، يسبّح، ويحوقل، ويحمقل، متعثّر الخطى حتّى يبلغ البئر، ويدلي بدلوه يبغي الوضوء، ويصلّي، تسوق كلابه الخرفان، فيتبعهم إلى المنحدر حيث يتقاطع مجريا الواديين، يتوكّأ على الصخور حتّى يبلغ مجلسه، أبصر اليوم الصبح بعيون كليلة وأفرج عن أنفاسه الملهوفة الأخيرة.

العنكبوت

أمضى ليلة يحوك أعلامًا للولايات المتّحدة الأمريكيّة وللدولة اليهوديّة،وانضمّ في اليوم الموالي إلى جمع غفير ليتلذّذ برؤيتها تحترق في دقيقة.

قيّمة

يشتري الورود ليبيعها، يفقهها بضاعة، ويسوّقها معنى، يصفها بأبهى الكلمات والصور، ويرصّفها بعناية، تبقى هي مشفقة عليه وعلى المارّة، وتشتهي أنفاسا تتوق إليها ويخجلها الثمن، وقد يسعد بعضها بمن اجتمعت له زينتا عشق الحياة.

رباء

دسّوا صباحًا في جيبه دينارًا أفقده التوازن، بقي يتساءل طيلة يومه عما يمكنه شراؤه به، ولمّا يئس من الإجابة دسّه في جرابه. ولم يبت ليله منتظرًا قدوم دينار جديد.

أريب

عشق العيش في الظلمة لتماهي حلكة دخيلة جسده معها، يدرك أصواتها الغائرة الجليّة، وتشحذ بصره سكينتها الدفينة، يبحث عن قنديل بنات أفكاره فيها، وتنتشي نفسه بمدامة روائح أنوار تجافيها، أفرجوا عنه جثّة؛ فتشابه في وجوده الليل والنهار.

غيبوبة

يحلّ التصفيق حينما يحلّ، أتقن اقتباس الأقوال والملامح حتّى كاد يفقد البقيّة الباقية منه، تخفّ الأنفاس لحديث السيناريوهات على لسانه كأنّها من نسجه؛ فيضحك ويبكي، انهار أخيرًا، وزار عيادات الأطبّاء النفسيّين ليودّع في إحدى الجلسات نفسه.

ميعاد

بقي متسمّرًا حذو باب بيته يرقب المارّة، تسمّرت عيناه على عيني ابنة الجيران الّتي راقبته باهتمام، تبادر إلى ذهنه في لحظات عدد لا يحصى من الأسئلة، همهم؛ فانتفضت، وغابت عن ناظريه؛ فانتظر بلا جدوى، ثمّ ولج بيته غائمًا.

جداريّة

لم تعد تقرأ رسائله، وهجرت مواعيد لقائه اليوميّة، فكّرت مليًّا في سنوات علاقتهما بمرارة، وأدانته في كلّ القضايا المعلّقة، هو عاطل عن العمل لأنّه عديم الإرادة والأفق، هو بخيل لأنّه مفلس، هو عديم المسؤوليّة؛ لأنّ الأقدار أعجزته، وهو كذّاب لأنّه عذب الكلام، زار بيتهم خاطب ليلًا لتطوي معه عدّة صفحات ثقال.

تعارف

التقى بها بعد لهفة أيّام، تعرّف عليها مؤخّرًا من خلال الفايس. جرى بينهما حوار مداره السياسة وتصاريف الحياة، وكلّل بحنين غريب، تبادلا نظرات متفحّصة بينما كان يترقّب وصولها إلى المقهى، حيّاها واجمًا، وودّعها بعد تبادل كلمات أليفة معها مبهوتًا.

مفارق

غرست رأسها في الوسادة الناعمة الشهيّة، اجتاحتها الأحلام العابثة قبل أن تغلق عينيها، ورأت خياله يداعب جفنيها ليطرد النوم، أصغت إلى حروف ضحكاته تداعب أذنيها؛ فابتسمت كما تتبسَّم أمّ ثكلى.

أدوار

حدجوه بنظرة احتقار مقيتة، ومرّوا مرّ اللئام، لم يأبه لهمزهم ولمزهم، وأودع سرّه إلى يديه الملطّختين بالطين، شهد تهنئة المحامي لموكّله لحصوله على الهكتارين، وهدّ المصاب كاهله؛ فأقعده، وسأل المالك الجديد: "يا سيّدي

هل تحتاج لأجير؟". فأبكمه الصمم.

الحلّ والعقد

امتدح الرئيس حتّى جفّ ريقه، وارتعبت فرائصه وجلًا من عجزه عن النطق، فنظر إليه الحاكم شزرًا، وامتعض، وصاح في وجهه قائلًا: "منافق عاجز! أين الملفّات؟ أين التقارير"؟ أجابه بعد لأي شديد مستغربًا: "ألم تصلك"؟ ضحك مخاطبه،وتمطّى قائلًا: "أحبّ رؤيتك ناطقًا يا صفيق".

الملهم

يبدأ صفّ المناشدين الأوّل بالتصفيق، فتتبعهم بقيّة الصفوف مهلّلين مكبّرين، صمت خطيبهم حتّى يصغي إلى صداهم، انتابه فجأة السعال؛ فأثار تصفيقًا أشدّ، وبقي الأمر على ما هو عليه حتّى أتمّ كلمته، وغادر قاعة التصفيق.

شداد

سمّى ابنه فرعون، فقالت أمّه: "ويلي! اتّقِ الله يا رشيد! ألم تجد له اسمًا كبقيّة أسماء الخلق والعباد"؟! قهقه.. ثمّ قال باسمًا: "قدّر الله، وما شاء فعل"، ونظر إلى ملامح أبيه المشفق في الصورة، ولمّا علمت زوجته بالخبر، تجهّم وجهها بعد الانفراج، وانتابها وجوم شديد.

حوار

أكلوا حتّى انتفخت بطونهم كبلّونات العيد، بقي في قاع الطنجرة قطعة كبد متفحمّة صغيرة، تبادلوا نظرات ولحظة هازئة، وتسابقت الأيادي متشابكة إليها في سيل من السباب واللكمات.

صباح

يرسم خربشات على اللوحة الّتي ألفها ناصعة البياض، شيء في صدره دعاه لخوض تجربة الفزع المصوّر، تجتاحه هذه التجارب منذ عهد بعيد يخاله أبعد من وجوده ذاته، ترشّف كوب شايه في صمت، أخذ أنفاسًا

متتالية من سيجارة مهملة أشعلها، أمال رأسه يمنة ويسرة؛ فرأى ملامح أمواج ملوّنة ارتسمت، وأسرّ في نفسه: "هذا وجهي الجديد".

مواطن

أعلنت المذيعة ليلة الثورة عن البلاغ التالي: "محمّد شابّ قمحيّ اللون، متوسّط القامة، فُقد صبيحة اليوم في وسط العاصمة.. عليّ كهل، بنيّ العينين، طويل القامة، تائه، وشوهد في وسط العاصمة.. بسمة شابّة سمراء طويلة الشعر لم تعد إلى بيتها الكائن شارع الحبيب بورقيبة". وسكتت إثر دقيقة من انقطاع البثّ ثقيلة.

موقف

أقفل دكّانه منتهرًا كلبًا يتبوّل منتشيًا، ضحك لمّا رآه غير آبهٍ لزجره، ثمّ انتبه لخيوط البول تنجّس حذاءه؛ فعاوده الغضب، ولاحق الكلب يبغي ركله، فأفلت بينما كان يبصر الشاتة في عيون المارّة ترمقه باستخفاف.

دروس

نظر الجنود إلى الطفل القادم، همس أحدهم للبقيّة: "أصوّر"، طلب منه أوّلهم أن يقف ويفتح محفظته، ثمّ طلب منه أن يضعها أرضًا، ابتسم المصوّر، طلب ثانيهم من الطفل أن يقترب، وقال: "عد إلى مكانك الآن وافعل ما تؤمر"، فعاد الصبيّ إلى الموضع الأوّل يتبوّل، حينها اتّسعت ابتسامة المصوّر، قال له الأوّل: "ارفع يديك". قال الثاني بصرامة: "إلى الأعلى". زاد ارتباك الطفل حتّى كاد ينخلع صدره جزعًا، صرخ الأوّل في وجهه: "اكشف بسرعة بطنك". أطاعهم وعينا فكره معلّقتان بالمحفظة، والأوامر والنواهي لا زالت عليه تهطل.

تهيّأ

لم يصدّق حواسّه، ظنّ أنّها خانته كما خانته ساقاه حين أبصرت شيئًا خاله عفريتًا، أفقده المصاب الجلل القدرة على النوم والتركيز والتذكّر، "أيّ الموجودات هي"؟ و"ما ستصنع بي"؟ و"ما السبيل للخلاص من حضورها الخفيّ أو الغائب"؟ كلّها أسئلة دارت في خلده الفارغ.

خفيف

ركض لاهثًا. وصل أخيرًا إلى كومة الراغبين في الركوب في المترو، تراصّوا، ومنع بعضهم انغلاق الباب، بينما صوت السائق الجافّ يصدح قائلًا: "ما تعطّلوناش! سيّب الباب يا فرخ! خوذوا إلّي بعدهْ!". تصبّب عرقه وهو غارق بين المعاطف ويداه ممدودتان تبحثان كغريق عن قشّة معدنيّة.

خبر

علم نبأ وفاة والدته، حملق مثل المخبول في الرسالة على شاشة هاتفه المحمول، تملّكه حزن عميق، وأسكته الذهول، استفاق من حمّى الحيرة لوهلات؛ فاتّصل بأخيه المرسل ليتيقّن، أصغى للرنّات ولنبضات قلبه متوجّسًا، وسمع صوت أمّه تقول: "ألو من تكون"؟ بهت، وانتشى، ثمّ أجاب بلهفة: "أمّي، أنا محمّد محمّد، كيف حالك؟ من فضلك اطْلُبي من ابنك المشاغب الاتّصال بي حالًا".

بداية

"صباح الخير!!" قالتها بدلال صبيانيّ مثير، تلفّتت ذات اليمين وذات الشمال لمزيد التأكّد من خلوّ المكان، وقبّلته بلهفة الشوق بتؤدة ورويّة، ابتسما، وتعانقت يداهما، كما تجاذب ذراعاهما، واتّحدت خطواتهما في ممرّ الحديقة المظلّل الطويل.

عابرة

حيّا معارفه دالفًا إلى المقهى، اندهش لرؤيتها، سمع قول صاحب المقهى لها: "كم قطعة سكّر"؟ أجابته مرتبكة: "قطعتين". حينها قال لمخاطبها ضاحكًا: "طلبي هو ذاته وأخصّ بالذكر السكّر". برقت الابتسامة المكبوتة في عينيها، وانشغلت بإذابة قلبه في القهوة، ثمّ انصرفت مسرعة.

إعلام

استيقظ مبتسمًا، غسل وجهه ضاحكًا، نظّف أسنانه والنغمات بين شفتيه تتردّد، وتناول فطور الصباح مسرورًا، استقلّ الحافلة، رفس قدمه طفل، فلم يأبه، ثمّ داسته فتاة، لم تعتذر، إلّا أنّه ابتسم لها، وانتظر فرصة كبح فرامل الحافلة مرّة تلو مرّة ليلاصق جسده جسدها معتذرًا، وصل متأخّرًا إلى مكتبه مرحًا، وقلّب صفحات الجريدة؛ فاجتاحه الغمّ.

ميكانيكا

تصبّب عرقه، تناول المفتاح تلو الآخر، بحث عن العطب متحسّسًا جميع قطع المحرّك، جرّب عديد المرّات ما خاله إصلاحًا؛ فلم تنجح مساعيه، ملّ، وأحسّ أنّ ظهره المقوّس يكاد ينفلق، استقام، وأحسّ بقشعريرة تسري في جسده الهزيل، أشعل سيجارة، ونفخ حلقات دخانها في السماء وكأنّه ينشد عونًا.